مدينة زنجبار في القرن التاسع عشر
(واجهة العرب العمانيين في شرق أفريقيا ووسطها)

د. أحمد عبد الدايم محمد
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الدراسات الإفريقية العليا
جامعة القاهرة

المدينة في أحد تعريفاتها هي عبارة عن تجمع سكاني، له خصوصيات معينة، من مكان وزمان وعادات وتقاليد وخدمات وتنوع ثقافي وعرقي وتآلف وانسجام. وتتميز المدينة عن القرية بأنها عبارة عن فضاء حضاري حاضن للإبداع والمعرفة والعلم والتعايش بين عرقيات مختلفة، وأن هذا التنوع العرقي والثقافي شرطه التآلف والتعايش والانسجام وطريقة تجمع السكان. ولما كانت المدينة هي بنت للاستقرار والتنظيم، فإن مدينة زنجبار في القرن ١٩ كانت عبارة عن عباءة واسعة لتفاعلات ثقافية مختلفة. فكان طابعها الجمالي وعلاقاتها الوظيفية تقدمها كمدينة عربية الهوى والهوية تارة، وليبرالية منفتحة على كافة الثقافة تارة أخرى. لكن السؤال الذى يطرح نفسه: هل اكتسب سكانها هويتهم من المدينة نفسها؟ أم أن المدينة هي التي اكتسبت هويتها من سكانها؟ خاصة وأن هناك صعوبة في فهم عملية التغيير الاجتماعي التي جرت في المدينة طيلة القرن ١٩، وما إذا كانت عمارتها وليدة الوعي وفقط؟ ام أن الواقع السياسى حينها فرض مسائل أخرى. فمدينة زنجبار أو بندر زنجبار الحجرية في القرن ١٩، كلها مسميات لمدينة ستون تاون الحالية التي تقع على الساحل الغربي لجزيرة زنجبار التابعة لدولة تنزانيا الحالية. حيث اكتسبت مدينة زنجبار شهرتها كحاضرة للعرب العمانيين من كونها كانت مقرًّا لحكمهم في شرق أفريقيا ووسطها. وهو ما عبرت عنه كتابات الرحالة الأوروبيين حول علاقة تلك المناطق بالعاصمة، فذكروا بأنه" إن عزف المزمار في زنجبار رقص عليه الناس في البحيرات "، بما يدل على أن منطقة البحيرات الأفريقية التي تضم دول كينيا وأوغندا وتنجانيقا والكونغو

وملاوى كانت تتوقف حركتها على القرارات الصادرة من تلك المدينة وحكامها من أسرة البوسعيد. حيث ارتبطت قصور سلاطينها بحكايات تجارها وسرد قناصلها عن الداخل الأفريقي وعجائبه. فمن المعروف أن مدينة زنجبار قد بنيت من المرجان والملاط وليس من الصخور. حيث حوت ما يقارب ١٧٠٠ مبنى من الحجر، منها قصور السلاطين وبيوت الوجهاء من العرب والهنود والأوروبيين، واحتوت على ٢٣ مجمعًا تجاريًّا، وكاتدرائيتين، وأكثر من ٥٠ مسجدًا و١٥٧ استراحة، وأكثر من ٢٠٠ باب منحوت.

ولم تأتِ شهرة مدينة زنجبار من كونها مشرقية الطابع، أو من كونها قد أصبحت عاصمة الحكام العمانيين منذ عهد السلطان سعيد بن سلطان وفقط، بل لدورها في تحديث منطقة شرق أفريقيا ووسطها. وعلى هذا، فإن دراسة المدينة تستهدف أمورًا ثلاثة: أولها، الأسباب التي جعلت السلاطين العمانيين يختارون بندر زنجبار ليكون عاصمة لدولتهم ومقرًّا لحكمهم. ثانيها، الدور الحضاري والتحديثي الذي تم في المدينة، وما لعبه هذا المقر في شرق أفريقيا ووسطها. ثالثها، رصد القوى الاجتماعية الحاكمة للمدينة وطبيعة حياتها وتمددها العمراني ونظامها الإداري. لكن السؤال الذي يفرض نفسه: كيف استطاعت مدينة زنجبار أن تتحكم في كل كبيرة وصغيرة في شرق أفريقيا ووسطها؟ وما هي أهم مميزاتها؟ ولماذا برزت كحاضرة للعرب وبوتقة لتلاقى الثقافات؟ وفي هذا الإطار تنقسم الدراسة إلى خمسة محاور رئيسة:-

أولا- نشأة مدينة زنجبار.

ثانيًا- توسعات مدينة زنجبار في القرن ١٩.

ثالثًا- القوى الاجتماعية المتحكمة في مدينة زنجبار في القرن ١٩.

رابعًا- نشاطها الاقتصادي وتأثيرها الحداثي في شرق أفريقيا ووسطها.

خامسًا- علماء المدينة وقضاتها ونخبتها الثقافية.

أولًا- نشأة مدينة زنجبار:-

بداية يجب أن نفرق بين جزيرة زنجبار ومدينة زنجبار التي نقصدها. فجزيرة زنجبار تقع المدينة داخلها، وسميت بهذا المسمى الفارسي لتعني ساحل الزنج، في حين تسمى باللغة السواحلية أنجوجا، بمعنى الصحن الواسع الممتلئ. ويبلغ طول جزيرة زنجبار ٥٤ ميلا، وعرضها ٢٤ ميلا بمساحة ٦٤٠ ميلا مربعًا. ويفصلها عن ساحل شرق أفريقيا مضيق عرضه ٢٢.٥ ميلا. أما مدينة زنجبار، موضوع الدراسة، فتقع في الشمال الغربى من جزرة زنجبار نفسها، ويسميها العرب والمستعربون بالمدينة أو البندر أو البلدة أو مجينى بالسواحيلية، وهي عبارة عن عدة أحياء: حى بيمولم والسوق وقلب المدينة وحى مكونزينى وحى مكيونجونى إلى غير ذلك[١]. وإذا كان مناخ جزيرة زنجبار مشابهًا من جميع النواحي لمناخ الحزام الساحلي لشرق أفريقيا إلا إن بلدة زنجبار لا تشارك المدن الساحلية في نسيم الرياح الموسمية [٢]. حيث أكدت الكتابات الأوروبية بأن شهر يونيو كان أفضل بدء لموسم الأمطار[٣]. وكان فصل الشتاء فيها، حسب رواية الاميرة سالمة، صغيرًا جدًّا، عبارة عن أسابيع معدودة يكون الجو ممطرًا رطبًا أكثر منه باردًا، وأن درجة الحرارة تصل لـ ٧٣ درجة فهرنهايت[٤].

وجدير بالذكر أن جزيرة زنجبار كانت مقسمة حينها إلى ثلاث مقاطعات غير المدينة نفسها: المقاطعة الأولى، مقاطعة كوكتون Kokotoni ، ويحدها من الشمال الغربي والشرق المحيط الهندى، ومن الجنوب خط مستقيم يبدأ من نقطة على الساحل الغربي بطول نصف ميل إلى

---

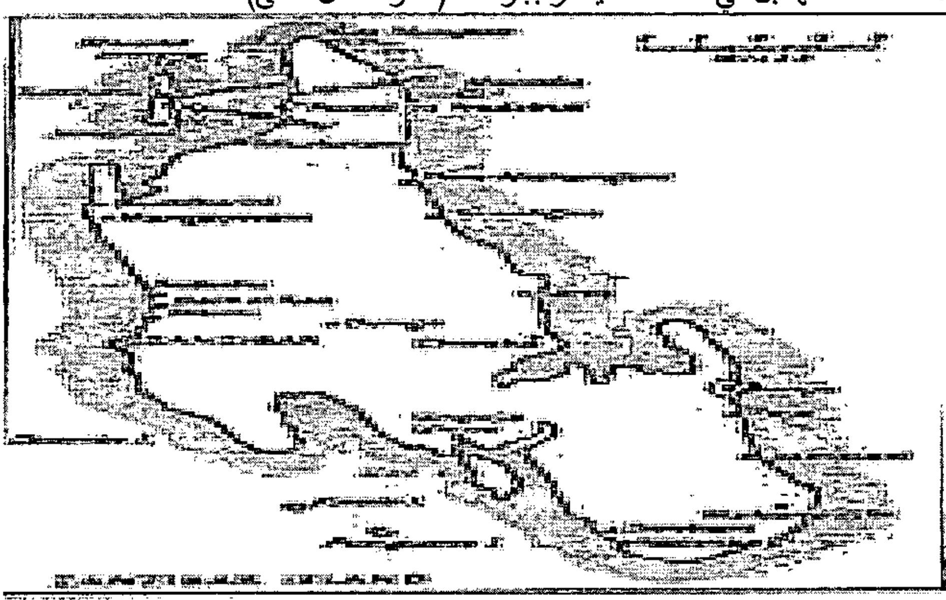
(١) أحمد عبدالدايم محمد حسين:- قصور البوسعيد في زنجبار في القرن ١٩.. سياحة ثقافية مستدامة، مؤتمر السياحة السدامة في أفريقيا الفرص والتحديات. في القارة، ١١-١٥ إبريل ٢٠١٨، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة، ٢٠١٨.

(٢) W.O.287-16:- Military Report on the East Africa Protectorate and Zanzibar Volume I, General Staff,1910, London, PP.54,55.

(٣) Bartle E. Frere:- A Few Remarks on Zanzibar and the East Coast of Africa, Proceedings of the Royal Geographical Society of London, Vol. 17, No. 5 (1872 -1873), p.353.

(٤) الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسى، ط٩، وزارة الثقافة والتراث، سلطنة عمان، ٢٠٠٦، ص ١٣٥.

الجنوب من نانجيل ، إلى نقطة على الساحل الشرقي بمسافة ميل واحد إلى الشمال من قرية بونجوي. المقاطعة الثانية، مقاطعة مويرا Mwera. ويحدها شمالا حدود مقاطعة كوكوتوني، ومن الجنوب والغرب المحيط الهندى، ومن الشرق خط يمتد من مدخل سونقى إلى شواكاChwaka . المقاطعة الثالثة، مقاطعة شواكا. وتحدها مقاطعة Kokotoni ، ومن الغرب الحدود الشرقية لمقاطعة مويرا. أما مدينة زنجبار، بما في ذلك نجامبو والجزر التي تقع أمام ميناء زنجبار، فكانت مستثناه من ولاية والي مويرا. حيث كان يتم وضع مسؤول عربي، يكون برتبة والي على جميع المقاطعات السابقة ، ويوجه جميع القضاه والشيوخ والرؤساء والسلطات المحلية الأخرى داخل حدود المنطقة المخصصة له، ولهم صلاحيات مخولة تخضع لإشراف الوالى.اللهم إلا محكمة المقاطعة التي لا يتم الاستئناف داخلها بل في محكمة مدينة زنجبار (٥). (انظر الشكل التالى):



(٥) DECREE DATED 29th OF SHAWAL, 1314. FROM SEYYID HAMOUD BIN MAHOMED BIN SAID TO ALL HIS SUBJECTS."Zanzibar Gazette," April 7th, 1897(TRANSLA TIon, Arthur H. Hardinge: Legislative Methods in the Zanzibar and East Africa Protectorates, Journal of the Society of Comparative Legislation, Vol. 1, No. 1 (Mar., 1899), p. 8.9.

وفيما يتعلق بنشأة مدينة زنجبار، فيشير المقيم البريطاني في زنجبار بأن المدينة لم تنشأ في العصور القديمة، بل جاء صعودها كأبرز مدينة في ساحل شرق أفريقيا بعد انسحاب البرتغاليين من تلك المنطقة في القرن الثامن عشر. وأنها بنيت على واحدة من الجزر الصغيرة التي تنحدر من ساحل زنجبار، وأنها أصبحت في فترة لاحقة جزءًا من الأرض الصلبة. وقيل أن عاصمة الشيرازيين كانت تقع في جزيرة تومباتو خلال فترة الوجود الفارسي منذ القرن العاشر فصاعدًا. وتم العثور فيها على عملات معدنية تعود لـ ٦٠٠ سنة، وقيل أن عاصمتهم كانت تقع في كيسكيمكازي. لكن مدينة زنجبار التي أصبحت عاصمة لدولة البوسعيد فيما بعد، بدأت نشأتها تتجسد في شانجاني في عام ١٦٦٠. حيث تشير السجلات البرتغالية بأن زنجبار العظمى كانت تسمى سهل" زنجبار. وأن مصطلح " العظمى" كان يستخدم لتمييزها عن البلدة القديمة، وأن المدينة الحديثة نشأت على يد العمانيين سنة ١٧١٠ بعد استعادتهم للجزيرة [٦]. حيث تشير الروايات لدور السلطان حسن ووالدته الملكة فاطمة بنت يوسف ١٦٥٠-١٧١٠ بأنهما أول من اهتما جديًا بمدينة زنجبار، وبجعلها العاصمة السياسية، حيث كانت من قبل مجرد مرسى لسفن الصيد [٧].

ويؤكد على هذا أحد المصادر الأوروبية، جيث يقول بأن الفضل في نشأة المدينة يعود الى حاكم اسمه يوسف. وأنه حينما كانت جزيرة زنجبار عبارة جزأين: الجزء الجنوبي، وعاصمته كيسكيمازى ومخصص لابنه بيكيرى Bakiri، فإنه أعطى الجزء الشمالي من الجزيرة، وفيه موقع مدينة زنجبار الحديثة لابنته فاطمة. تلك السيدة التي عاشت في الفترة من ١٦٥٠ إلى حوالي سنة ١٧١٥. وكانت السجلات البرتغالية تلقبها، فضلا عن السكان المحليين، باسم "ملكة زنجبار. وخلال

---

(٦) Major F B Pearce C M G:- Zanzibar, The Island Metropolis Of Eastern Africa LONDON, First published in 1920 , p.181-1184.

(٧) الشيخ عبدالله بن صالح الفارسى:- البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة محمد امين عبدالله، ط٢، سلسلة تراثنا، وزارة التراث القومى، سلطنة عمان، ص ٥٩.

فترة حياة هذه المرأة، وفي عام ١٧١٠ ظهرت أول لمحة عن مدينة زنجبار الحديثة. فقد كان المكان يتألف من قرية صيد على نقطة شانجانى، ومبنى مهدم كان يستخدم ككنيسة من قبل البرتغاليين وأحياء سكنية، واحتل هذا المبنى موقع الحصن العربي . وكان بجوار هذه الكنيسة المدمرة بيت الملكة فاطمة. حيث أقيمت في هذه البلدة حامية مكونة من خمسين من عرب عمان، ويقال أنهم قد حولوا الميناء المخرب في عام ١٧٨٤. وتوثق الروايات بأن نشأة المدينة تمت على يد ابن الملكة فاطمة المدعو حسن، فهذا الرجل تعتبره تلك الروايات بمثابة مؤسس مدينة زنجبار الحقيقى؛ لأنه عندما توفيت والدته أصبح سلطانا، وبدأ نشيطًا في جعلها عاصمة لملكه. فقام بمسح الأراضي المحيطة بها، وبدأ في توسيع المدينة بشكلها المتعارف عليه فيما بعد. حيث وافق على مغادرة بعض سكان البر الرئيس من صيادى السمك ليستقروا في شنجانى ، ولم يعترض سكانها على تمديد قريتهم، وتم ذكر أسماؤهم في جميع التصريحات العلنية. وفي وقت لاحق جاء بعض العرب المفازيين من باتا، واستقروا في الموقع الجديد، وعين لهم السلطان حسن حى موافي Mwavi، على اسم شجرة Mkumavi ، وذلك قرب موقع جمعية الخوجة الإسماعيليين فيما بعد. وفي وقت لاحق جاء العرب الشطرية من مافيا. وحدث اندماج مع السكان الجدد والقدامى، تبعهم مجيئ تجار من شبه الجزيرة العربية والهند. وتأسس الميناء بشكل حديث، وأصبح يعج بالسفن. وعلى بعد مسافة قصيرة من الميناء نشأت العديد من البلدات الرئيسة في محيط المدينة الجديدة، وكانت تسمى على أسماء الشجر حسب التسميات الزنجبارية. مثل "MnaziMoja"على اسم شجرة جوز الهند؛ Mkunazini، "أو مثل Mkunazi على اسم الشجرة "التي كانت أوراقها تستخدم بمثابة الصابون؛ Mbuyuni،" او المكان الذى تسمى باسم شجرة Mzambarau ، إلخ(٨).

وبحلول نهاية القرن الثامن عشر، ازدهرت البلدة الأصلية بشكل كبير، فكانت تنتشر في جميع أنحاء المدينة المنازل المبنية بالحجارة، وكانت مقرًا للأثرياء من العرب. وفي هذا الإطار كتب

---

(٨) Major F B Pearce C M G:- Op.Cit. , p.185,186.

الملازم البريطاني بيسل، بأنه حين دخل ميناء زنجبار، فإن قلعتها أطلقت عدة طلقات من ثلاث بنادق تحية له. وفي فبراير ١٨١١، كان هناك بريطانيان آخران قد زارا مدينة زنجبار من شركة الهند الشرقية، فسجل الكابتن Smee انطباعاته بأن بلدة زنجبار "كبيرة وكثيرة السكان، وأن عدد كبير من المباني الحجرية هو ملك للتجار العرب. وأنه في مركز قريب من الشاطئ يقف الحصن، وأن عدد سكان الجزيرة قد بلغ ٢٠٠،٠٠٠، ثلاثة أرباعهم على الأقل من الرقيق. وأن تجارة ساحل شرق أفريقيا بشكل رئيس في أيدي العرب العمانيين وعدد قليل من المغامرين الهنود من كوتش والسند. وحتى حوالي عام ١٨٢٢ ، كان الميناء في كثير من الأحيان منتجعًا للقراصنة الأسبان والبرتغاليين، الذين ينقلون تجارتهم الشائنة في الرقيق بكل قسوة[٩]. وعلى هذا لم تكن المدينة قد برزت بصورتها المتعارف عليها، إلا في عهد دولة البوسعيد. فقد حدثت توسعات كبيرة، جعلت المدينة أكبر حجمًا وأجمل شكلًا وأقوى تأثيرًا.

ثانيًا- توسعات مدينة زنجبار في القرن ١٩:-

إذا كانت مدينة زنجبار قد نشأت في عهد أسرة اليعاربة العمانيين، إلا إن حضورها السياسى والثقافي والفكري قد برز في عهد أسرة البوسعيد التي حكمت شرق أفريقيا طيلة القرن ١٩. ورغم أن أول ذكر لبندر زنجبار قد جاء في المعاهدة التي عقدها السلطان سعيد مع الولايات المتحد سنة ١٨٣٥ باعتبارها أحد البنادر التي سيتمتع فيها الأمريكان بحرية التجارة والبيع والإقامة[١٠]، إلا إن نشأة المدينة كان سابقًا على هذا التاريخ بكثير. لكن عند وصول السلطان سعيد في زيارته الثانية لجزيرة زنجبار سنة 1828 فرض القانون والنظام على الجزيرة ككل. أما مدينة زنجبار، فقد استمر في تطويرها لتصبح حاضرة العرب العمانيين على ساحل شرق أفريقيا والداخل الأفريقي، بصفة

---

(٩) Ibid , p.187,188.

(١٠) Alexander I. Cotheal:- Treaty between the United States of America and the Sultân of Maskaṭ: The Arabic Text, journal of the American Oriental Society, Vol. 4 (1854), p.349

عامة. بل قام في عام ١٨٤٠ بنقل عاصمته من مسقط في عمان إلى مدينة زنجبار، وشجع الهندوس والهنود المسلمين للهجرة إليها(١١). وأصبحت المدينة في عهد البوسعيد، حسب رواية الأميرة سالمة، يحيط بها سور من كافة الجهات عدا الواجهة البحرية الغربية. حيث أصبح جو العاصمة جوًّا شرقيًّا، وكان لها سحر لا تمتلكه أي مدينة أخرى في شرق أفريقيا، فكان لها شبكة شوارع ضيقة ومظللة، وكانت منازلها حجرية مزينة بأبواب خشبية منحوتة مرصعة بنحاس، وكانت شوارعها رائعة الجمال بفعل الرياح الموسمية الشمالية الشرقية (١٢). وكانت هناك عدة أسباب أثرت على السلطان سعيد لاختيارها كعاصمة لممتلكاته في شرق أفريقيا: أولها، أنها أعلنت الولاء للعرش العماني منذ غزوها. ثانيها، إنها كانت قادرة على تطوير مركز التجارة الرئيس في شرق أفريقيا ككل. وبسبب موقعها المركزي، أدرك السلطان سعيد أن المدينة ستصبح مكانًا لتوزيع البضاعة القادمة من الساحل ومركزًا لتسويق التجارة إلي الداخل الأفريقي. ثالثها، أن المدينة كانت تمتلك ميناء عميقًا مؤهلًا لرسو السفن الكبرى. رابعها، إن المدينة كان لديها إمدادات لا تنضب من مياه الشرب النقية تجتذب العديد من السفن المارة. خامسها: إن مناخها مناقض لمناخ سلطنة عمان القاحلة. سادسها: إن السلطان سعيد أراد عاصمة خارج عمان ليكون بعيدا عن المؤامرات الدائمة في مسقط ، والشجار المستمر بين قبائل عمان، نظرًا للزيادة السكانية(١٣).

(١١)Hatim Amiji:- The Bohras of East Africaournal of Religion in Africa, Vol. 7, Fasc. 1 (1975), pp. 35,36.

(١٢)Claud Hollis;:;-Zanzibar: Present Conditions and Interests, Journal of the Royal African Society, Vol. 28, No. 111 (Apr., 1929), pp. 218

(١٣) Padma Srinivasan i:- SAYYID SAID, THE IMAM OF MUSCAT AND THE DEVELOPMENT OF ZANZIBA, Proceedings of the Indian History Congress, Vol. 59 (1998), pp. 945,946.

وجدير بالذكر أن شرق أفريقيا بأقاليمها المختلفة، جزيرة زنجبار وبمبا وكينيا وتنجانيقا، قد أصبح في النصف الأول من القرن ١٩ تحت حكم أسرة البوسعيد. فقد حكمها السلطان سعيد بن سلطان في الفترة من ١٨٠٤-١٨٥٦، وتبعه ابنه السلطان ماجد من ١٨٥٦- ١٨٧٠م[١٤]، ثم حكمها أخوه السلطان برغش في الفترة من ١٨٧٠- ١٨٨٨م. ثم تبعه حكم خليفة بن سعيد ١٨٨٨-١٨٩٠، وخلال تلك الفترات، كانت يد العمانيين مبسوطة على نواحي شرق أفريقيا ودواخلها. لكن تغير هذا الأمر تمامًا في كينيا وتنجانيقا سنة ١٨٨٥، فصارت جميعها تحت حكم الألمان أو الإنجليز. حتى أن زنجبار نفسها لم تسلم من الأوروبيين، حيث وضِعَت تحت الحماية البريطانية سنة ١٨٩٠(١٥). وعلى هذا اقتصرت سلطة البوسعيد على الساحل، كسلطة شكلية، لا تبسط يدها إلا على مسافة ١٠ كم من الساحل داخل كينيا(١٦). ومع ذلك ظلت أسرة البوسعيد تحكم المنطقة المشار إليها سابقًا حتى سنة ١٩٦٤. وفي سياق موضوعنا فقد حكم السلطان على بن سعيد ١٨٩٠-١٨٩٣، وتبعه السلطان حمد بن ثوينى ١٨٩٣-١٨٩٦، وانتهي القرن ١٩ بحكم السلطان حمود بن محمد بن سعيد ١٩٩٦-١٩٠٢. غير إن قصة انفصال زنجبار عن عمان تبدأ بعد وفاة السلطان سعيد عام ١٨٥٦ ، حيث خلفه ابنه ماجد على الجزء الأفريقي وابنه ثوينى على

---

(١٤) J. E. R. Stephens:- The Laws of Zanzibar, Journal of the Society of Comparative Legislation, New Ser., Vol. 13, No. 3. (1913),p.603.

(١٥) Neville Rubin:- Government Publications Relating to Zanzibar,1860 - 1963, University of London, Solaprint of Leeds Ltd, Great Britain, 1979, p .1,3.

(١٦) جمال زكريا قاسم :- الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥، ص ص متفرقات. وكذلك انظر، ناصر بن عبد الله الريامى :- زنجبار شخصيات وأحداث ١٨٢٨-١٩٧٢ ، مكتبة بيروت، مسقط سلطنة عمان، ٢٠٠٩ . ص ص ٢١٢، ٢١٤ .

الجزء الأسيوي. لكن استمرت المكائد والمؤامرات المضادة حتى عام 1860[١٧]. ولم تنته إلا بعد أن قبل ماجد بدفع مبلغ مالي لثويني قدره ٤٠،٠٠٠ دولار، رفض دفعه فيما بعد. وداخل مدينة زنجبار نفسها لم يسلم ماجد من المؤامرات ضده، فقد شهدت المدينة تمرد أخيه برغش على سلطته. هذا التمرد الذى شغل القنصلين، الفرنسى والبريطاني، حتى تم حل المشكلة ١٨٦١-١٨٦٢ [١٨]. وحينما استقرت الأمور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شكلت مدينة زنجبار أساسًا للتحركات السياسية عبر الدواخل الأفريقية[١٩]. وظلت حاضرة العمانيين حتى عام ١٨٩٠، حينما أصبحت سلطنة زنجبار تحت الحماية الرسمية للتاج البريطاني [٢٠].

ونظرًا للدور الكبير الذى قامت به أسرة البوسعيد في تطوير مدينة زنجبار في القرن ١٩، والأساسات التي وضعتها تلك الأسرة طيلة فترة حكمها، والتي تعرضت لهجوم أفريقي عليها بعد انتهاء الحكم العربى سنة ١٩٦٤، وباعتراف هيئة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة سنة ٢٠٠٠ بأهمية المدينة من الناحية التاريخية والمعمارية والثقافية، ووضعها في قائمة المدن ذات التراث العالمي [٢١]، كل ذلك وغيره يفرض علينا ضرورة التعرف على طبيعة المدينة وما تم فيها من توسعات على يد البوسعيد. فيحكى لنا

---

(١٧)Marguerite Ylvisaker:- The Origins and Development of the Witu Sultanate. The International Journal of African Historical Studies, Vol. 11, No. 4 (1978), pp.674

(١٨)Moses D. E. Nwulia:-,The Role of Missionaries in the Emancipation of Slaves in Zanzibar, The Journal of Negro History, Vol. 60, No. 2 (Apr., 1975), pp.274,275.

(١٩)B. G. Martin:- Notes on Some Members of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa in the Nineteenth Century. African Historical Studies, Vol. 4, No. 3 (1971), pp. 525.

(٢٠)Laura Fair:- Identity, Difference, and Dance: Female Initiation in Zanzibar, 1890 to 1930, A Journal of Women Studies, Vol. 17, No. 3 (1996), pp. 149.

(٢١)Brian Hoyle:- Urban Waterfront Revitalization in Developing Countries: The Example of Zanzibar's StoneTown, The Geographical Journal, Vol. 168, No. 2 (Jun., 2002), pp. 145.

الشاب البريطانى جون ستدى لايت John Studdy Leigh الذي عاش في المدينة عام ١٨٣٦ كموظف في شركة نيومان التجارية التي مقرها لندن، بأن القنصل البريطاني كان مقيما في زنجبار. ومعه مجموعة صغيرة من الدبلوماسيين الإنجليز، روبرت كوجان والدكتور هوارد وروبرت نيومان هانت ووليام سليمان. وتحدث عن زياته الأولى بتاريخ 2أغسطس ١٨٣٧] بأنهم قابلوا القنصل البريطاني والأمريكي في منزليهما الذي يشبه الطراز العربي، وشاهد القصر السلطاني، بيت الساحل ومبنى الحصن. ورأى في المدينة هجمات الحمى، وذهب لهذا القصر لمقابلة السلطان[٢٢] وكانت المقبرة الملكية لأسرة البوسعيد تقع بجوار هذا القصر، فيما يعرف بحى القصور السلطانية. وقد بنيت في عهد السلطان سعيد بن سلطان[٢٣].

هذا، وقد أظهرت الخرائط المرفوعة لليونسكو (انظر الشكل التالي) التطور الذى حدث لمدينة الحجر منذ عام ١٨٤٩، وأنها غطت مساحة قدرها ١٢٥ هكتار، تتألف من الجزء المبني من الحجر والمناطق المفتوحة على طول حدودها الشرقية، بالإضافة إلى الجزء الأكبر من شارع داراجاني، بإجمالي مساحة قدرها ١٦٠٠ هكتار. وأوضح أحد التقارير المرفوعة لليونسكو أن ٣٢٪ من المباني التاريخية في المدينة مستمدة من النماذج الهندية، و ٢٥٪ من النماذج العربية. أما البقية، فهي إما "تقليدية" أو غير مصنفة[٢٤].

---

[٢٢] John Studdy Leigh and James S. Kirkman:- The Zanzibar Diary of John Studdy Leigh, Part I , The International Journal of African Historical Studies, Vol. 13, No. 2 (1980), pp281,284-286.

[٢٣] أحمد عبد الدايم محمد حسين:- شواهد المقبرة الملكية في زنجبار مصدرًا لتاريخ أسرة البوسعيد(١٨٤٣- ١٩٧٠)، مجلة الدراسات الافريقية، العدد ٣٦، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٤، ص ٧٥ .

[٢٤] أحمد عبدالدايم محمد حسين:- تنمية مدينة ستون تاون في زنجبار تنزانيا (تجربة اليونسكو وتحدياتها في الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٨)،اعمال المؤتمر السنوى التنمية المستدامة في أفريقيا . في القارة، ٧-٨ مايو ٢٠١٨، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة، ٢٠١٨.

وحينما قرر الرحالة برتون أن يجدد تصميم بلاده في الوصول إلى المناطق المجهولة في الداخل الأفريقي، فكانت انطلاقته من مدينة زنجبار في ١٩ أبريل 1856. فبعد أن قام بزيارة السلطان ماجد في القصر الشرقي المجاور للحصن، قدم لنا وصفا رائعًا لرصيف الميناء وقصر السلطان والمدافع التي تقع أمامه، وأنها للعرض أكثر منها للاستعمال. ووصف لنا مبنى العبيد وعدد من المساجد وبيوت زنجبار المزينة بأواني من الزهور الاصطناعية الموضوعه على عتبات النوافذ(٢٥).وفي عام ١٨٦٣ وعلى الجانب الشمالي من جنوب المدينة، بنى ماجد منزلا كبيرا لنفسه سماه "بيت السلام".(٢٦). وقد عرفنا كل كبيرة وصغيرة عن التوسعات التي حدثت في المدينة؛ لأنه تم تصوير نواحى زنجبار؛ نظرًا لاهتمام أفراد العائلة المالكة بمصورى الصور الفوتغرافية. وفي هذا الإطار نقل

---

(٢٥)Richard F. Burton:- Zanzibar City Island and Coast, Vol. I. LONDON,1872, p.4,256,260,261

(٢٦) Jan Knappart :- "A Short History of Zanzibar, Annals Equatorial, Vol. 13 (1992), pp. 30,31.

جوميز في أوائل عام ١٨٧٠ استوديو الصور الخاصة به من عدن إلى مدينة زنجبار، فتعاون معه هناك استوديو الأخوان فيليكس وكوتينهو وغيرهم، ففتحوا استديو إضافي للبورتريهات وإطلالاتهم على مدينة زنجبار. وتحولت الصور المرسومة إلى بطاقات بريدية وتذكارات صور، نظرًا للطلب الكبير من قبل النخبة الملكية والزوار والمهاجرين والتجار (٢٧).

وظهرت المدينة في عهد السلطان برغش في أبهي صورة حضارية لها، حيث أدخل فيها خط انابيب لمياه الشرب يأتى من نبع شيم شيم على بعد أربعة أميال إلى المدينة، مما وفر مياه الشرب النقية للاهالى (٢٨). وأشار أحد التقارير المرفوعة لليونسكو أن التنمية الحضرية قد بدأت في عهد ذلك الرجل. حيث سعى لمحاكاة ما رآه في الهند عند نفيه سنة ١٨٦٠، وما رآه فى أوروبا خلال زيارته لبريطانيا عام ١٨٧٥، فاظهره عند بنائه لبيت العجائب، ومن خلال توفيره للمياه المنقولة بالأنابيب للمدينة والكعبة وغيرها. وجاءت المرحلة النهائية من التنمية المعمارية عندما أصبحت زنجبار محمية بريطانية عام ١٨٩٠. حيث تأثر المهندس المعماري جون سنكلير، بالمميزات المستمدة من العمارة الإسلامية فى إسطنبول والمغرب. غير أن الإدارة الاستعمارية البريطانية أدخلت لوائح بناء صارمة، ووسعت من نطاق الخدمات العامة. وأصدرت تدابير للتخطيط الحضري فيما بعد. وحينما زاد النشاط التبشيرى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر دخل أيضًا الفن القوطى لزنجبار، ببناء الكاتدرائيات الأنجليكانية والكاثوليكية الرومانية(٢٩). وفى هذا الاطار تشير الأميرة سالمة في مذكراتها بأن منظر مدينة زنجبار من البحر كان سنة ١٨٨٥ أكثر جمالًا مما كانت عليه من قبل، فقد بنيت عدة بيوت جديدة. ومما زاد من

---

(٢٧) Erin Haney:- Daughters of Zanzibar, Transition, No. 119, Afro-Asian Worlds (2016), pp.40,42.

(٢٨) أحمد حمود العمرى:- عمان وشرقى إفريقية، ترجمة محمد أمين عبدالله، سلسلة تراثنا، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ص ٧٦.

(٢٩) أحمد عبدالدايم محمد حسين:- تنمية مدينة ستون تاون.. المرجع السابق.

جمال منظرها، الفنار القائم أمام بيت العجائب والمضاء بالكهرباء. غير أنها ذكرت بأن وسط المدينة من الداخل قد ساء أمره، وأصبح فى حال يرثى لها من الخراب والإهمال. فالخرائب أصبحت تنتشر فى شوارع المدينة الضيقة والوسخة. حيث نما عليها العشب والحشيش ونبتت بها بعض الشجيرات. مع أنه أنشأ مصنعًا للثلج ومحطة للكهرباء والقطار وأشياء أخرى ليس أقلها الطباخون الفرنسيون والأطباق الفرنسية(٣٠).

وعلى الجانب الجنوبي من بيت العجائب كان يقع الحصن العربي القديم، وكان مكانًا للإعدام، ففيه يتم قطع رءوس الجناة بالسيف خارج الجدار الشرقي للحصن، وأيضًا كان يستخدم كسجن، وأحيانًا في أغراض جمركية، وجزئيًا كان ورشة عمل للسكك الحديدية الحكومية. وكانت المواسير التي تأتي بإمدادات المياه الجيدة إلى المدينة من على بعد أربعة أميال، قد تمت في عهد السلطان برغش. وفي عهده أيضًا تم إضاءة المدينة بالكهرباء بمحركات ديزل، وتم تركيب التليفونات إلى كل أحيائها (٣١).

وقدم لنا الكابتن جيلين من البحرية الفرنسية خريطة لمدينة زنجبار نشرها في كتابه، يظهر فيها الحصن ثم ممرات وراء سارية العلم الكبيرة المرفوعة على قصر السلطان سعيد القديم، وهو موقع بيت العجائب فيما بعد. وعلى يسار سارية العلم يقع بيت الساحل وقصر السيد ماجد. وكانت القنصلية الفرنسية تقع وراء هذا القصور. وعلى يمين الحصن تقع القنصلية البريطانية والقنصلية الأمريكية ومستشفي الأوروبيين. ثم منزل الشيخ بشير بن سالم الحارثي والذي أخذه منه السلطان سعيد، وهو ما أصبح مقرًا لبعثة وسط أفريقيا التبشيرية فيما بعد(٣٢).وعندما تم تدمير القصرين المجاورين من قبل الأسطول البريطاني أثناء قصف عام ١٨٩٦، نجا بيت العجائب، الذى يقع أمامه مدفعين نقلهما السلطان سعيد من عاصمته مسقط إلى المدينة. فحين شهدت مدينة زنجبار

---

(٣٠).الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:– المصدر السابق، ص ٣٠٩.

(٣١)Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., p.206-208.

(٣٢)Jan Knappart:- " Op.Cit., pp. 16,22,23,29

تمردًا من قبل خالد بن برغش، واقتحم مع مناصريه القصر يوم ٢٧ أغسطس ١٨٩٦، انهته بريطانيا على الفور، فنقلته القنصلية الألمانية التي استجار بها على زورق ألماني، فتم نقله إلى دار السلام، ولم يتم اعتقاله في من قبل القوات البريطانية إلا في عام ١٩١٧ (٣٣).

وكانت أغلب قصور زنجبار تقع بالقرب من شاطئ المدينة الغربي، وكانت ملكًا للعرب. فعمارة بنجانى كانت للبراونة، وسكة البرتغاليين للمحارمة، وكانت حارة شنجانى للمواهبة، وحارة مبارك لعرب المناذرة، وحارة مكنزين للشواطر، وأكثر حارة مالندى والسهول الساحلية كانت لأسرة البوسعيد. وكانت حارة كجشفينى لال المغيرة وبنى ريام. وهكذا، فإن أغلب عمارة مدينة زنجبار كانت للعرب. وكانت تتكون عادة من طابقين أو أربعة طوابق، وكانت مبنية من الأحجار المرجانية، وممراتها مزخرفة بالآيات القرآنية، وإطارات الأبواب والنوافذ مقوسة ومزخرفة بقطع من النحاس والنقوش البارزة. والأدوار الأرضية ليس لها نوافذ، حيث تستعمل كمستودعات، أما نوافذ البيوت فموجودة في الأدوار العلوية، ومحمية بأعمدة من الحديد موضوع عليها حاجز خشبي. هذا وقد بلغ عدد عرب مدينة زنجبار حوالي ١٠٠٠٠ نسمة، يمكن تصنيفهم إلى المجموعات التالية: الأولى عرب المشهري من حضرموت. الثانية، العرب القمرية من جزر القمر. الثالثة، العرب الشاطرية والمفازية من الجزيرة العربية. الرابعة، عرب عمان. وكان المجتمع المشهري السني يمتلكون مسجدهم الخاص ومقبرتهم، حيث يختلفون عن عرب عمان (٣٤).

وفي جنوب المدينة، كانت هناك منازل العرب المميزة مجاورة لأحياء الأفريقيين الفقيرة. وفيها كان يقيم الأثرياء العرب والنبلاء، والسلاطين والتجار الهنود. وكقاعدة، كان كل

---

(٣٣)Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., p.198-206.

(٣٤)Ibid, p.215.

عرق، سواء عربي أو أوروبي أو هندي أو أفريقي، يفضل الإقامة الجزء الخاص به. فالبلوش من مكران لديهم حى سكني خاص بهم خارج الحدود الشمالية للبلدة: وعرب حضرموت كانوا يقيمون في ماليندي، ويشتغلون بتجارة الحصر والسلال والأكياس المستخدمة في تعبئة القرنفل وتصنيعها. وكانت كل طائفة من مسلمي الهند تقيم حول مساجدها الخاصة ومنازلها، حيث تكون المؤسسات مراكز حياتها الدينية والاجتماعية. وكان هناك سوق دراجاني، الذي كان يعج بمجموعات متنوعة من الفواكه وغيرها من المنتجات، وبه سوق خاص بمختلف أنواع السمك، فضلا عن المكان المخصص فيه للحرفيين القادمين من الهند لصناعة المجوهرات والأحجار الكريمة والذهب(٣٥).

وفيما يتعلق بالحي السكني الأوروبي داخل المدينة، فكانت تقع فيه منازل المسؤولين الأوروبيين وموظفي المحاكم. وتقع فيه بعض القنصليات الأجنبية ونادي اللغة الإنجليزية والبنوك ومكتب البريد العام، والمحلات التجارية الأكثر أهمية، ومنازل البريطانيين. وكانت حدائق فيكتوريا التي أنشاها السلطان برغش تقع قرب قصره في شكواني Chukwani ، وكان حمام السباحة متاخما لحديقة الترفيه العامة. وهناك كاتدرائيتان، واحدة تنتمي إلى البعثة الكاثوليكية للروح القدس، والآخرى للبعثة التبشيرية لوسط أفريقيا. وفي وسط المدينة وبالقرب من الحي الأوروبي كان يوجد عدد من المدارس ومستشفي للمرضى المحليين، وآخر للكاتدرائية الكاثوليكية الرومانية في الوسط، وثالث للكاتدرائية الإنجليزية في الشرق. والجزء الشمالي من المدينة كان مخصصًا لسكنى الصيادين بالقرب من حي ماليندي (٣٦).

(٣٥)Ibid, p.210,211.

(٣٦)Ibid , p.208-210.

أما نواة المدنية فبنيت بالحجارة، حيث كان البيت العربى الحجري هو مفتاح النخبة في الهيمنة والتفوق من قبل الإمبراطورية العمانية منذ أواخر القرن السابع عشر. حيث كانت كمية الحجارة والكلس في الجدران ونوعيتها أكبر. وكان سمك الجدران والأسقف وعدد الطوابق علامة رئيسة على الدوام والقوة. وكان متوسط عدد المنازل للتاجر هو منزل واحد أو اثنان، أما النخبة فلها ثلاثة أو أربعة أو خمسة منازل. وهيمنت المنازل الحجرية متعددة الطوابق على مدينة زنجبار في سبعينيات القرن التاسع عشر، في حين كانت تقتصر على جيوب معينة في ضاحية نجامبو على أطراف المدينة من ناحية الشرق، وكانت مملوكة للتجار أو الذين يخدمون في تجارة القوافل أو المزارع أو مرافئ الميناء وأسرهم. وهي منازل دائمة تخص العبيد والتجار المتجولين والحرفيين المهرة شائعا. وكانت علاقات المرء ومنزله تحدد قوته الاجتماعية والاقتصادية بالنسبة لمنازل الآخرين(٣٧).

وكان توزيع الثروة في مدينة زنجبار يختلف في القرن التاسع عشر باختلاف الأصول الاجتماعية لسكانها؛ حيث كان التقسيم المكاني للمدينة مجرد انعكاس لعلاقات القوة داخلها، حيث تتنقل المكانة من الأعلى وهم العرب، ويعيشون على شاطئ المدينة والأجزاء القريبة منها، إلى الأدنى وهم الأفارقة، ويعيشون في ضاحية نجامبو. وكانت بيوت العرب مبنية بالمواد الخام المتوفرة في البيئة المحيطة، من حجر المرجان والكلس، أما نجامبو فبنيت بيوتها بالطين والحصى المرجانية وجدرانها من الجير. وكانت المنازل المؤقتة أو شبه الدائمة هي الأكثر شيوعًا في المكان المخصص للأفريقيين، وكانت المنازل من الفئة الثالثة شبيهه بالمنازل "السواحيلية، لها إطار خشبي قوي وسقف من القش، أما الجدران والأساسات فكانت من الحجارة والجير. حيث تتكون البيوت من طابق واحد به أرضيات وجدران مغطاة بالجير. وكانت تلك المنازل السواحيلية شائعة في نجامبو منذ توسع المدينة مع بداية القرن التاسع عشر حتى حلول أواخر القرن التاسع عشر عندما تعددت الطوابق(٣٨).

---

(٣٧)Garth Andrew Myers: Sticks and Stones: Colonialism and Zanzibari Housing, Africa: Journal of the International African Institute, Vol. 67, No. 2 (1997), p.256.

(٣٨)Ibid, pp.252-255

وكانت نجامبو Ngambo قد شكلت جزءًا رئيسًا من مدينة زنجبار فيما بعد. حيث كانت في خمسينيات القرن ١٩ عبارة عن مزارع لجوز الهند وتعيش بها الكلاب المنبوذة من زنجبار. وكان يشار للخور الذي يمتد في الجزء الخلفي من مدينة زنجبار الرئيسة، ويقسمها من ربع نجامبو، بأنه البحيرة النتنة، في حين تعرف الأرض المجاورة له باسم منزي موجا، تلك التي أشارت لها الدكتورة كريستي عام ١٨٦٩ باسم"Nazemodya" بأنها كانت تستخدم كمدافن مشتركة ، وأن العديد من الأوروبيين مدفونون هناك. وعلى هذا، فإن نجامبو في بدايتها كانت عبارة عن مدافن لمدينة زنجبار. لكن بطبيعة الحال كانت منطقة أفريقية مميزة عن البلدة العربية والمنطقة الأوروبية، حيث كان هناك تكتل عظيم من البيوت شرق الخور في المنطقة المسماه بنجامبو، كانت تشكل ضاحية منفصلة عن المدينة، يقطنها حوالي ١٥٠٠٠ نسمة، يعيشون في أكواخ ومبان مستطيلة كبيرة، بها العديد من الغرف. وكانت شوارعها وممراتها مظلمة ومضللة، وغالبية سكانها من أفارقة الكونغو والنوبيين والحبشيين والصوماليين والسنغاليين[٣٩]. (انظر الشكل التالى):

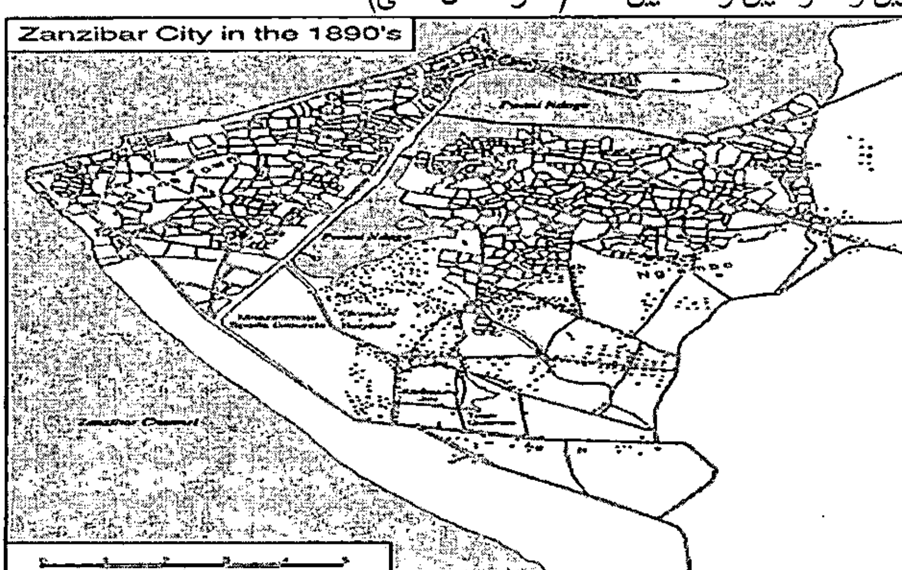


FIGURE 1 *Zanzibar city in the 1890s.*

(٣٩) Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., pp.190-194,211-2115.

ومع كل تلك التطورات التي حدثت في المدينة، الا إنها حسب أحد الروايات، كانت تتم بشكل غير صحي. فحتى عام ١٨٧٥، أي حتى زيارة السلطان برغش إلى إنجلترا ، لم تكن هناك أي محاولة جدية للتعامل مع تلك المسألة. فقد علق الكابتن سميي عام ١٨١١ على الأسلوب غير الرسمي في دفن الموتى في مدينة زنجبار ، وذكر أن القبور كانت صغيرة لدرجة أن الجثث كانت مغطاة بالكاد، وكانت أطراف الجثث تتعرض باستمرار للخطر بين عامي ١٨٤٦ و١٨٥٠. وكتب الدكتور روشنبرجر في عام ١٨٣٥ بأن "مدينة زنجبار كانت تمتلك القليل من عوامل الجذب للمسيحيين الغرباء. وفي عام ١٨٤١ كتب هامرتون، من الجيش الهندي عين مندوبًا عامًّا لشركة الهند الشرقية البريطانية في بلاط السلطان سعيد في زنجبار، "بأنه لم يسكن في منزل مناسب للتمثيل البريطاني في أيامه الأولى ، ولكنه حصل على سكن لعائلته بعد ذلك، في المنزل الذى اتخذته شركة سميث ماكنزي وشركاه فيما بعد، بينما أقام القنصل الأمريكي بالقرب منه، في قصر عربي كبير في شنجاني. إلى أن تم إنشاء القنصلية العامة البريطانية، واستخدمت كمستشفي أوروبي في السنوات من ١٨٤٧ – ١٨٥٠[٤٠]. ويشير آخر بأن شوارع المدينة كانت ضيقة جدًّا وقذرة. وكان الجزء الأكبر من تشكيل المنازل من طابق أرضي مبني بالطين والقش مع فروع النخيل. وكان سكان المدينة ياكلون الأسماك والفواكه والمكسرات التنبول والبطاطا الحلو، وكان التعامل في البداية يتم بالخرز[٤١].

وقيل بأن التخلص من العبيد المتوفين كان يتم بطريقة غير صحية حتى أواخر عام ١٨٥٧. وفي هذا الإطار، انتشر وباء الكوليرا في الجزيرة في وقت مبكر من عام ١٨٥٩، ومات على أثره

---

[٤٠] Ibid, p.187,188.

[٤١] John Studdy Leigh and James S. Kirkman:- Op.Cit., pp292,293.

حوالي ٢٠٠٠٠ شخص في مدينة زنجبار نفسها. وانتشرت الكوليرا العظيمة داخل المدينة سنة ١٨٦٩، توفي على أثرها ١٥٠٠٠ من السكان، ولم تكن هناك طريقة جيدة للتخلص من الموتى[٤٢]. فكانت المدينة في حالة قذرة من كثرة الجثث، خصوصًا في المنطقة التي تقع إلى الشرق من الخور، المعروفة باسم نجامبو. وكانت ضاحية Mnazi Moja سيئة للغاية، فحالة الشوارع والشواطئ كانت سيئة جدًّا. فيشير الدكتور كريستي بأن ملايين لا تحصى من النمل والخنافس وملايين من الفئران وجيوش من الكلاب البرية كانت تنتشر فيها. وكانت لا توجد إزالة للقمامة من المدينة والضواحي، وكانت الأمطار تزيد من قذارة المكان. وفي الربع الأوروبي من المدينة، استخدم الزنوج لإزالة القمامة. ويؤيد ذلك ما كتبه ليفنجستون حينما كان في المدينة عام ١٨٦٦ ، بأن رائحة شواطئ المدينة كريهه. وتحدث كريستى عن اندلاع الكوليرا في عام ١٨٦٩ ، فانتشر الطاعون في المدينة، لدرجة أنها جعلت الناس يندفعون للمساجد للدعاء والصلاة فيها، داعين الله أن ينجيهم من هذا الوباء. وكانت الشوارخ خالية بالليل من المارة إلا الزنوج الذين كانوا يمرون على طول جسر دراجانى، حيث توغلت جثث الموتى في ضواحي المدينة[٤٣].

ورغم كل ما قيل في حق المدينة، إلا إنها كانت واحدة من أجمل المدن في العالم قاطبة، مدينة شرقية الطابع بنيت على بروز من الأرض داخل البحر، ذات قباب متلألئة ومساجد متعددة. بناياتها بيضاء اللون، ذات شوارع متعرجة وضيقة جدًّا. واشتهرت بأبوابها المنحوتة، وأشهرها أبواب بيت العجائب المرصعة بالمسامير النحاسية لمنع كسرها من قبل الأفيال، وكان بالأبواب زوائد زخرفية، وتغطيها نصوص من القرآن، ناهيك عن رخام القصور المستورد من أوروبا[٤٤].

---

[٤٢]Jan Knappart:- " Op.Cit.,, pp. 16,22,23,29

[٤٣]Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., p.190-197.

[٤٤]Ibid,p.203-206.

ثالثاً- القوى الاجتماعية المتحكمة في مدينة زنجبار في القرن ١٩:-

إذا أردنا التعرف على مدينة زنجبار في القرن ١٩، فعلينا أن نتعرف على الفاعلين الاجتماعيين المقيميين في المدينة والمتحكمين فيها. وأى نقد يمكن أن يوجه للمدينة وطبيعتها فيما بعد، سيكون جزءًا من نقد التجربة الاجتماعية للمدينة ورحلتها فيما بعد. حيث اكتسبت المدينة طبيعتها من هوية الفاعلين فيها في القرن ١٩، وغالبيتهم عرب. فالمدينة نشأت مشرقية الهوى والهوية دون أن تخلو من اللمسات الهندية والأفريقية والأوروبية. وقبل أن نتعرف على تلك القوى نعطى لمحة حول حجم سكان المدينة في القرن ١٩. ففي عام ١٧٧٧ كان عدد سكان جزيرة زنجبار حوالى ٤٠٠٠٠، منهم 300 من العرب . وحينما جاءها السلطان سعيد سنة ١٨٢٨ لم يكن عدد العرب فيها كبيرًا(٤٥). غير أن إشارة أحد المصادر بأن عدد سكان المدينة بلغ حوالي ٧٠،٠٠٠ عربي وسواحلى في يوليو ١٨٣٨ من جملة سكان الجزيرة ١٠٠،٠٠٠، وان سكان مدينة زنجبار العرب قد تجاوز ١٠،٠٠٠ نسمة، يدلل على طفرة كبيرة قد حدثت في الحجم. وانه من بين ١٠ الاف عربي، منهم ما بين ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ بحارة، وأن هناك ١٠.٠٠٠ شيرازى و ٤٠٠ هندى من البانيان، والباقي من السود من جزر القمر ومدغشقر وغيرها(٤٦). وارتفع عدد سكان مدينة زنجبار من ٢٥٠٠٠ إلى ٤٠٠٠٠. وكتب القنصل البريطانى في زنجبار عام ١٨٥٩ بأن المدينة كانت مليئة بالآلاف من عرب الخليج وحضرموت، وأنهم كانوا يأتون بغرض خطف العبيد والأطفال، وينقلونهم للبيع في سواحل الجزيرة العربية وبلاد فارس وأنهم يرتكبون جرائم القتل والسرقات ويفلتون من العقاب. حيث كان جنود السلطان يخافون منهم. ففي ٩ مارس ١٨٦١ ، أصابوا أربعة موظفين في القنصلية الأمريكية، ثم قاموا بحبس القنصل الأمريكي في منزله ، وحاصروها طوال اليوم. في حين ذكر في

---

(٤٥) Jan Knappart:- " Op.Cit.,pp. 16,22,23,29

(٤٦) John Studdy Leigh and James S. Kirkman:- Op.Cit., pp284-290.

تستعينيات القرن ١٩ بأن سكانها بلغوا حوالي ٣٦٠٠٠ نسمة.، من مجموع سكان محمية زنجبار البالغ عددهم ١٩٧،١٩٩، وفيما يختص بالترتيب الاجتماعى، فكان العرب يأتون في أعلى السلك الاجتماعي يليهم الهنود ثم السواحليون [٤٧]. وفي عام ١٨٧١ كان حوالى٢٠٠ ألف يعيشون في المدينة، أكثر من نصفهم من العبيد . منهم ٤٠٠٠ هندي و ٦٦ أوروبيًا منهم ١٢ ألمانيًا، لهم علاقة بتجارة الأسلاك النحاسية وجميع النحاسيات، ورغم هذا العدد القليل، تمكن الألمان أن تحصل شركاتهم على ٢٤ ٪ من تجارة الجزيرة [٤٨].

ويمكن تقسيم القوى الاجتماعية التي سكنت المدينة لخمس قوى: القوة الأولى، العرب. حيث سكن مدينة زنجبار عدة قبائل عمانية وأسرة البوسعيد وتجار عرب شاركهم التجارة هنود وأوروبيون، وهؤلاء جميعًا ورد ذكرهم في كتابات المستكشفين الأوروبيين في القرن التاسع عشر. فذكرت تلك الكتابات بعض من صفات التجار العرب القاطنين بالمدينة بأن سماتهم جميلة لهم شوارب طويلة من دون لحى، وكانت ملابسهم حريرية وأنيقة وفاخرة وذات أكمام طويلة. وكانوا من العناصر الأساسية في التطور الاستثنائي الذي حدث في الجزيرة ككل [٤٩].وكان القادمون من عمان يتبعون المذهب الإباضي، وهناك آخرون ينتمون إلى الإثنا عشرية والإسماعيلية. وكان الوقف في المدينة في معظمه ملكا للعائلة المالكة البوسعيدية، وهذا يعني أن معظم الأوقاف كانت مخصصة للإباضية، وبالتالى كان التمييز بين الإباضية والشافعية يتم بناء على الوقف، وكان دلالة على فصل الملاك عن المستأجرين[٥٠]. وفي عام 1870 سيطر العرب الحضارمة على سوق

---

(٤٧)Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., pp.190-194,211-215.

(٤٨) Jan Knappart:- " Op.Cit., pp. 32.

(٤٩) Beatrice Nicolini:- The Western Indian Ocean as Cultural Corridor: Makran, Oman and Zanzibar through Nineteenth Century European Accounts and Reports, Middle East Studies Association Bulletin, Vol. 37, No. 1 (Summer 2003), pp.24,25.

(٥٠) Garth Andrew Myers: Op.Cit., pp.257,258.

العمل في ميناء زنجبار. وكانت هذه المجموعات الأكثر نفوذاً في المدينة نفسها ، من الناحية السياسية والتجارية [٥١].وكان بعض أثرياء العرب يعيشون في حى مالیندى مسيكيتى، وبعضهم في حى مالندى ميزنجانى، ومالندى كيوندا. وكانت قبيلة المحرمي تعيش في منطقة المحرمة بجوار الكنيسة الكاثوليكية. وبالنسبة للعرب الشاطرية من عرب حضرموت، وهم أول جماعة استوطنت المدينة بعد أن أصبحت عاصمة، فقد كانت لهم قصور ومساجد ومقاطعات ومقابر وممتلكات كثيرة هناك، وسيطروا على مسجد الجمعة المطل على الميناء. وأيضًا قبيلة الكندى[٥٢].

وبعيدًا عن حى القصور السلطانية الذي خصص لأفراد الأسرة الحاكمة، فإن بعض أسرة البوسعيد كانوا يقيمون في نواحى أخرى، فكان بعض الأمراء والمبرزين منهم، كالأمير عبدالعزيز بن سعيد، يسكن في بيت في ماليندى شمال المستشفي الآسيوى[٥٣]. وعاش سعيد بن حمد بن جاعد البوسعيدى في مالندى، وكانت له بيوت عديدة تسمى جما لاثريا، وهي التي أصبح المستتشفي الآسيوى جزءًا منها فيما بعد[٥٤]. وكان عدد من أفراد أسرة سليمان بن حمد البوسعيدى يقيمون في مالندى ميزنجانى، بين القنصلية الفرنسية والمنزل المواجه لمسجد السيد حمود، والذى أصبح مقرًا للقنصلية الهولندية فيما بعد [٥٥]. وكان قبطان السفينة فيكتوريا، هلال بن عبدالله المدى، قد سكن بيت كبير مبنى بالحجارة في المنطقة الفراغ الملحقة بالمحطة الكهربائية. في حين بنى الشيخ يوسف الشمسى قصره في الحديقة التي شغلت هيئة مزارعي القرنفل[٥٦]. وبنى الشيخ حسن بن إبراهيم الفارسى، وزير الخارجية والتجارة، منزله بجوار الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وحين خلفه في المنصب الشيخ أحمد بن

---

[٥١] R. J. Gavin:- The Bartle Frere Mission to Zanzibar, 1873, The Historical Journal, Vol. 5, No. 2 (1962), pp. 122-124.

[٥٢] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- المصدر السابق، ص ص ٩٦-١٠٠.

[٥٣] الشيخ عبدالله بن صالح الفارسى:- المصدر السابق، ص.٢٨

[٥٤] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- م المصدر السابق، ص ٨٨.

[٥٥] الشيخ عبدالله بن صالح الفارسى:- المصدر السابق، ص ٦٤.

[٥٦] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان المصدر السابق، ص ص ١٥٨-١٦٠.

نعمان الكعبى، أقام منزله في حى مالندى كيوندا. حيث بنى البيت الذي عرف باسم ماتم الشيعة؛ لأن الشيعة اتخذوا البيت مأتمًا بعد وفاته، وقبل أن يتزعمهم خان على صاحب المنطقة المعروفة كوخانى او منطقة الخان[٥٧].

ومن ضمن المبرزين العرب الذين سكنوا المدينة الشيخ محمد بن ناصر. حيث كان واليًا على المدينة في عهد السلطان سعيد، وسكنها أيضًا الشيخ محمد بن أحمد باقشمر سكرتير السلطان سعيد سنة ١٨٣٧. وأصبح وزيرًا للخزانة في عهد ماجد، وأصبح مستشارًا لجميع شئون الحكم في عهد برغش. وأصبحت كل الأمور بيده في عهد خليفة بن سعيد، حتى تم إبعاده عن زنجبار سنة ١٨٨٩، فغادرها ليقيم في بومباى الهند. ثم عاد ليعيش في مالندى وبنى مسجد نجامبو مبويونى الذي عرف باسم مسجد باقشمر [٥٨].

وبعد أن استقر السلطان سعيد في المدينة نقل قواته العسكرية النظامية لزنجبار في عام ١٨٤٦. وكانت تتمثل في ٤٠٠ رجل، منهم ٨٠ في مدينة زنجبار، و ٢٥٠ في مومباسا، و٣٠ في لامو، و ٢٥ في باتا، ومن ٦ إلى ١٠ في كيلوا، وأزواج متنوعة في مقيديشو وأماكن أخرى بعد ذلك. وتضاعفت تلك القوة إلى ثلاثة أضعاف فيما بعد، هذا بالإضافة إلى القوة غير النظامية [٥٩].وكان الحرس الشخصي الدائم للسلطان سعيد بن سلطان يتكون من ٣٠٠ من البلوش،غير الـ ٢٠٠٠ من البلوش الذين يعيشون في مسقط [٦٠]. وفي العقد الأخير من القرن ١٩ هجر بعض المزارعين العرب الأغنياء، وباعوا مزارعهم وأقاموا في المدينة، مما جعل مزدحمة للغاية [٦١].

---

(٥٧) الشيخ عبدالله بن صالح الفارسى:– المصدر السابق، ص ص ٦٦، ٦٧.

(٥٨) نفسه، ص ص ٦٨–٧٠.

(٥٩)Richard F. Burton:– Op.Cit.,, p.265

(٦٠)Beatrice Nicolini:– Op.Cit., pp.24,25.

(٦١) إبراهيم عبدالمجيد محمد:–الهنود في زنجبار في ظل حكم العمانيين في القرن التاسع عشر، المنصورة، ٢٠١٠، ص ٢٣.

القوة الثانية، الأوربيون. وبالنسبة للقناصل البريطانيين، فعندما انتقل السلطان سعيد إلى زنجبار عام ١٨٤١ اضطر الوكيل البريطاني إلى اتباعه إلى هناك، رغم أن مسقط كان يديرها الجهاز السياسي الهندي، حيث كان مسؤولاً أمام حكومة بومباي، وتكلفت تكاليفها من الإيرادات الهندية [٦٢]. وبالتالى كان اتكنز همرتون أول قنصل بريطانى يقطن مدينة زنجبار منذ ٤ مايو ١٨٤١ . حيث عاش في البيت الذي استخدمته شركة سميث ماكينزى وتوفي سنة ١٨٥٧ وخلفه فرانسيس بارون بياس كمقيم بريطانى. وظل القناصل يقيمون في مبنى شركة سميث ماكينزى حتى سنة ١٨٧٥ إلى أن انتقلوا إلى مبنى مامبومسيج. لكن منذ سنة ١٩٠٢ سكن القنصل في ميتاجوبو في حدائق فيكتوريا [٦٣]. ووصل أول قنصل أمريكى، ريتشارد وونزر إلى زنجبار سنة ١٨٣٩، وظل هناك حتى سنة ١٩١٩ عندما انتقلت القنصلية من المدينة إلى نيروبى. في حين تم وصول اول قنصل فرنسى في نوفمبر ١٨٤٤ وهو مسيو بركوا [٦٤].

وفيما يختص بإقامة المسئولين الأوروبيين في المدينة، فحينما تم منح امتيازات خارجية عبر معاهدات مختلفة عقدتها سلطنة زنجبار مع فرنسا والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا والجمهوريات الهانزية وبلجيكا وألمانيا والنمسا وروسيا [٦٥]، اتخذ مسئولو تلك الدول مدينة زنجبار مقرًّا لإقاتهم. فكان أول مسؤول أمريكي عاش في

---

[٦٢] Robert J. Blyth:- Redrawing the Boundary between India and Britain: The Succession Crisis at Zanzibar,1870-1873, he International History Review, Vol. 22, No. 4 (Dec., 2000), pp. 787.

[٦٣] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- المصدر السابق، ص ص ١٠٢، ١٠٣.

[٦٤] نفسه، ص ١٤٥.

[٦٥] S. S. Abrahams:- The Reorganization of the Zanzibar Courts, Journal of Comparative Legislation and International Law, Third Series, Vol. 6, No.4 (1924), pp. 294.

مدينة زنجبار هو ريتشارد بالمر، وخلفه وونرز في المنصب الى أن غادر زنجبار في ١٨٤٤. ثم جاء سي وارد ، وتبعه ويب ثم ماكميلان ثم مانسفيلد. وفي عام ١٨٥٩ زاد عدد الأمريكيين في المدينة، فإلى جانب وكيل شركة جون بيرترام وشركاه التي مقرها مدينة سالم الأمريكية الرئيسة، وكان يعاونه روبس والسيد ويب وروفوس جرين وشركاه، عاش فيها وكلاء وتجار آخرين. وأشهرهم التاجر صامويل ماسوري، فضلًا عن شركات فرنسية من مرسليا وشركات ألمانية من هامبورج [٦٦]. وأصبحت المدينة مقرًا لمؤسسة جون بيرترام الأمريكية، ثم شركات روبس وإميرتون، إلى أن أصبح لكل ولاية من الولايات المتحدة مواطن يعمل كقنصل عام بين عامي ١٨٧٠ و١٨٩٠ [٦٧]. وبطبيعة الحال، فإن هؤلاء المسئولين قد عكسوا قوة بلادهم ونفوذهم على سلاطين زنجبار.

وفيما يتعلق ببريطانيا الأقوى نفوذا في زنجبار، فقد رشح اتكينز هاميرتون كقنصل في زنجبار من قبل حكومة الهند، حيث لم تكن تسيطر عليها وزارة الخارجية البريطانية [٦٨]. واستقر في المدينة فعليا منذ سنة ١٨٤١. حيث طلب البقاء هناك بدلا من مرافقة السلطان سعيد إلى مسقط. فاستطاع بمساعدة القوات الموالية للسلطان أن يسيطر على الوضع ضد المغامرين العرب ممن كانوا يسيطرون على المدينة بقوة السلاح [٦٩]. وفي هذا الوقت لم يجرؤ أي مواطن أوروبي على الخروج من منزله بعد حلول

---

[٦٦] Richard F. Burton:- Op.Cit.,p.313,320

[٦٧] Gerald J. Pierson:- U.S. Consuls in Zanzibar and the Slave Trade, 1870-1890, he Historian, Vol. 55, No. 1 (AUTUMN 1992), pp. 54,55.

[٦٨] Norman Robert Bennett:- France and Zanzibar, 1844 to the 1860s. he International Journal of African Historical Studies, Vol. 6, No. 4 (1973), pp.602-676.

[٦٩] Jan Knappart:- " Op.Cit., pp. 16,22,23,29

الظلام. بل لم ينته الأمر إلا بعد أن أعطى السلطان سعيد لمثيري الشغب من العرب ألف روبية، لأنهم منعوه هو نفسه من ممارسة نشاطاته اليومية. إلى أن جاءت بعض سفن الأسطول البريطانى، وأمهلتهم ثمانيا وأربعين ساعة لمغادرة المدينة [٧٠]. وخلف القنصل هاميرتون في عام ١٨٥٨ ريجبي [٧١]. وقضى القنصل الجديد فترته في المدينة ما بين سنة ١٨٥٨-١٨٦١، ثم جاء من بعده فاير (١٨٦٣-١٨٦٥) وتلاه هنري تشرشل في الفترة من عام ١٨٦٧ إلى عام ١٨٧٠[٧٢]. ثم تبعه جون كيرك في الفترة من ١٨٧٠-١٨٨٦ [٧٣].وتدرج جون كرك كوكيل لقنصل زنجبار منذ عام١٨٦٦، ثم مساعدًا للوكيل السياسى سنة ١٨٦٨. وفي عام ١٨٧٣ أصبح هو القنصل العام، ولعب دورًا مهمًا في حياتها[٧٤]. وكان القائم بأعمال القنصل العام في زنجبار إف دبليو هولموود، قد تم عزله من منصبه ردًا على شكاوى متكررة وشديدة من برلين تستعجن سلوكه. وتلك الشكاوى كانت موجهة ضد السير جون كيرك[٧٥]. وسكنها أيضًا القنصل البريطانى ايوان سميث ووليم ماكينزي، مسئول شركة شرق أفريقيا البريطانية للتفاوض مع السلطان برغش

---

[٧٠]Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., p.190-194.

[٧١]Jan Knappart:- " Op.Cit.,, pp. 16,22,23,29

[٧٢]Chhaya R. Goswami:- Professor P. S. Gupta Prize Essay: The Slave Trade at Zanzibar and the Role of Kutcha's, Proceedings of the Indian History Congress, Vol. 64 (2003), pp. 1283-11285.

[٧٣]Jan Knappart:- Op.Cit., pp. 30,31.

[٧٤]H. H. Johnston:- Obituary: Sir John Kirk, G. C. M. G., K. C. B., F. R. S., M. D., LL. D., D. Sc., D. C. L,The Geographical Journal, Vol. 59, No. 3 (Mar., 1922), pp. 225,226.

[٧٥]Emile de Grootreat Britain and Germany in Zanzibar: Consul Holmwood's Papers, 1886-1887), The Journal of Modern History, Vol. 25, No. 2 (Jun., 1953), pp. 120- 122.

للتنازل عن بعض أجزاء ساحل شرق أفريقيا(٧٦). وفي ١٢ يناير ١٨٧٣ دخل اليخت البريطاني انشانترس Enchantress ميناء زنجبار. وكان على متنه حاكم بومباي السابق ومجموعة من ستة مسؤولين حكوميين، لمناقشة مسألة تجارة الرقيق (٧٧).

وبالإضافة الى دور المسئولين السابق، فان دورهم سيبرز أكثر بعد عام ١٨٨٤. حيث كان الرجل الذي يحكم زنجبار في الواقع، هو جيمس رينيل رود (١٨٥٨ – 1941). ويظهر دوره في تولية السلاطين، فحينما كان لا يرغب في أن يتولى خالد بن برغش الحكم وقف ضده متفقًا مع السير جيرالد بورتال (١٨٥٨-١٨٩٤) في أن خالدًا كان وحشيًا. وكتب آرثر هاردينج (١٨٥٩ – ١٩٣٣) بأن خالد لم يكن مرشحًا مناسبًا لمنصب سلطان زنجبار من قبل بريطانيا. وأن واحدة من خالاته، وهي زمزم بنت سعيد بن سلطان، كان لها بعض التأثير على مسار حياة ابن أخيها. وأن هذه السيدة كانت مولعة جدًا بخالد بن برغش، واقنعته مرتين بالاستيلاء على العرش بطريقة غير دستورية. وعندما تم نفي خالد للمرة الثانية كانت حزينة جدًا، وأرسلت بعض عبيدها لخدمته في المنفي بعد القصف البريطاني لمدينة زنجبار، حيث لجأ خالد إلى مقر القنصلية الألمانية الإمبراطورية (٧٨). وبعد اعلان الحماية البريطانية على زنجبار ١٨٩٠ كانت الإدارة البريطانية تعطى السلطان راتبا بلغ قدره ٢٥٠٠٠ سنويًا. وقام جون سميث في عام ١٨٩١، بجعل ميناء زنجبار مجانيًا (٧٩).

---

(٧٦)John S. Galbraith Italy, the British East Africa Company, and the Benadir Coast, 1888-1893, The Journal of Modern History, Vol. 42, No. 4 (Dec., 1970), p.557.

(٧٧)R. J. Gavin:- Op.Cit., pp. 122-124.

(٧٨)P. J. L. Frankl:- The Exile of Sayyid Khalid Bin Barghash Al-Busa'Idi: Born Zanzibar C. 1291 AH/AD 1874Died Mombasa 1345 AH/AD 1927British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 33, No. 2 (Nov., 2006), pp. 162,163.

(٧٩)Jan Knappart:- " Op.Cit., pp. 35.

وكانت هناك محاكم محلية في مدينة زنجبار نفسها، إلى أن أنشات بريطانيا عددًا من المحاكم بعد فرض الحماية. وأصبح الوكيل البريطاني في المدينة هو قناة التواصل بين حكومة زنجبار والقوى الأجنبية، ويدير، تحت إشراف وزارة الخارجية البريطانية، العلاقات الخارجية لسلطنة زنجبار [٨٠]. وتم تطبيق القوانين الهندية على زنجبار كقانون الجنون الهندي وقانون العقوبات الهندي وقانون الوراثة وقانون البريد الهندي وقانون الطلاق الهندي وقانون المحاكم المدنية لبومباي وقانون الأدلة الهندي وقانون العقود الهندي[٨١].

وفيما يتعلق بالألمان، فعندما دخلت ألمانيا طرفًا في موضوع الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد للتوفيق بينها وبين أخيها السلطان برغش لأهداف استعمارية، كلفت الحكومة الألمانية عام ١٨٧٦ القنصل الألماني في زنجبار باتخاذ خطوات رسمية لمفاتحة برغش في الموضوع، ولكن الرجل رفض أي مناقشة لهذه المسألة، حتى مع القنصل البريطاني العام، إلى أن أخذت القضية أبعادًا أخرى عام ١٨٨٠، تطورت فيما بعد لحصار مدينة زنجبار من قبل السفن الحربية الألمانية سنة ١٨٨٥. وعاش في زنجبار أيضًا صاحب المشروع الاستعماري الألماني كارل بيترز. وكان يتردد على القنصلية الألمانية في زنجبار في نوفمبر ١٨٨٤ وأيضًا عاش فيها وليام أوسوالد [٨٢].

---

[٨٠]Arthur H. Hardinge: Legislative Methods in the Zanzibar and East Africa Protectorates, Journal of the Society of Comparative Legislation, Vol. 1, No. 1 (Mar., 1899), p. 1,4,5.

[٨١]J. E. R. StephensThe Laws of Zanzibar, ournal of the Society of Comparative Legislation, Vol. 13, No. 3 (1913), pp. 603.

[٨٢]E. Van Donzel: Sayyida Salme, Rudolph Said-Ruete und die deutsche Kolonialpolitik, Die Welt des Islams, New Series, Bd. 27, Nr. 1/3 (1987), pp.15-17.

وبالنسبة لفرنسا، فحينما وقعت معاهدة بين زنجبار والولايات المتحدة أثار هذا اهتمام وزارة التجارة الفرنسية في باريس، فتم إرسال وكيل فرنسي إلى مسقط عام ١٨٤٠ لطلب الإذن لإنشاء قنصلية في زنجبار. الأمر الذي انعكس في المعاهدة التي وقعت في باريس في ١٠ مارس ١٨٦٢ بين بريطانيا وفرنسا، اتفق فيها الطرفان على احترام استقلال سلطان مسقط وسلطان زنجبار، ظلت سارية لأكثر من عشرين عامًا(٨٣).

وهناك وثائق تشير بأن المدينة قد استخدمت في ملمات كثيرة خاصة بالأوروبيين، منها أنها كانت نقطة انطلاق بعثة انقاذ أمين باشا في أوغندا (٨٤). ولعل الأرشيف البريطانى المعنون علاقات ألمانيا بزنجبار لهو خير شاهد على الاف الرسائل والمكاتبات التي خرجت من المدينة أو جاءت إليها تتعلق بمختلف الأمور السياسية والاقتصادية والثقافية والتكالب الاستعماري على الشرق والوسط الأفريقي، وتقطع بأن مدينة زنجبار كانت نقطة الانطلاق الرئيسة في كل ما جرى في تلك المناطق(٨٥).

ومما يدل على كثرة عدد الأوروبيين القاطنين للمدينة هو عدد المدارس والمستشفيات التي تم افتتاحها، وأبرزها المستشفي الأوروبي في ٢١ يونيو ١٨٧١ . حيث كان هناك احتفاء رسمى في المدينة

---

(٨٣)J. A. Kieran:- The Origins of the Zanzibar Guarantee Treaty of 1862, Canadian Journal of African Studies / Revue Canadienne des Études Africaines,Vol. 2, No. 2 (Autumn, 1968), p. 147

(٨٤) F.O.403-79:- Further Correspondence Respecting THE RELIEF OF EMIN PASHA AT UGANDA,No. 29,No.30,No,31, January, 1887,p.11.

(٨٥) F.O.403-107:-Part XV, Further Correspondence Respecting Germany and Zanzibar, October to December 1888, No.57, From The Marquis of Salisbury to Colonel Euan-Smith.(No. 152. Ext, 52.), Foreign Office, October 11, 1888., and see F.O.403-138:-Part XXII, Further Correspondence Respecting Zanzibar, July to September 1890 .

بهذا الافتتاح من قبل القناصل والنخبة العربية والسلطان برغش وجراحى المستشفي والضباط المقيمين في المؤسسة وعدد كبير من طلاب مدرسة الطب [٨٦]. فإلى جانب سكنى الوكلاء والقناصل الاوروبيين، فقد عاش فيها العديد من المستكشفين، أمثال ليفينجستون وبيرتون وسبيك وكاميرون وصمويل بيكر وستانلي [٨٧]. وحين قضى الدكتور ديفيد ليفينجستون ثلاثة أشهر في مدينة زنجبار في عام ١٨٦٦، في منزل لا يزال يحمل اسمه، ولم تعجبه البلدة؛ لأنها كانت ممتلئة بالقذارة والرائحة الكريهة، تحدث مع السلطان برغش في وجوب منع تصدير العبيد وإغلاق سوق العبيد هناك، وقد نجح في خذا المسعى، فأقيم على هذا السوق الكنيسته الإنجليكانية بقيادة المطران إدوارد ستيرى في عام ١٨٧٣ [٨٨].

ومن مدينة زنجبار غادرت حملة ستانلى لإنقاذ أمين باشا في أوائل عام ١٨٨٧. وسافرت عبر كيب تاون إلى مصب نهر الكونغو ثم إلى نهر أروييمي. حيث ذكرت سجلات الحملة بأن عددًا من الحمالين انضموا للحملة وعددهم ٦١١ رجل تم تجنيدهم في زنجبار، لهذا تم تسميتهم بالوحدة الزنجبارية، وفيهم بعض العرب ، وتشمل ممثلين عن كل قبيلة في أفريقيا الاستوائية [٨٩].ونزل فيها ستانلى أيضًا إلى أن أبحروا منها في ٣٠ سبتمبر ١٨٧٤، بعد أن تم تجهزهم بالكامل في المدينة بالأسلحة والعتاد والخدم، وأبحروا عبر سفن السلطان القاطنة في ميناء زنجبار [٩٠].

---

(٨٦)Visit Of The Sultan Of Zanzibar To St. Thomas's Hospital, the British Medical Journal, Vol. 1, No. 756 (Jun. 26, 1875), p. 863.

(٨٧)Major F B Pearce C M G:- Op.Cit., p.206-208.

(٨٨)Jan Knappart:- " Op.Cit.,, pp. 32.

(٨٩)Ruth Rempel:- "No Better than a Slave or Outcast": Skill, Identity, and Power among the Porters of the Emin Pasha Relief Expedition, 1887-1890, The International Journal of African Historical Studies, Vol. 43, No. 2 (2010), pp.279-282,284,285

(٩٠)Henry M. Stanley:- Explorations in Central Africa. Journal of the American Geographical Society of New York, Vol. 7 (1875), p. 174,1176,177.

القوة الثالثة، الهنود. عاش في مدينة زنجبار رجال الأعمال الكوتشي كمموّلين وتجار جملة وتجزئة. وشجعهم السلاطين العمانيون على تمويل إنتاج مزارع القرنفل الجديدة وتسويقها. وكان رجال الأعمال والتجار الهنود أمثال جيرام شيفجي وثريا توبان، قد اكتسب جنسية زنجبار بموجب "قانون التجنس الذى صدر في 1847. هذا وقد وصل عدد الهنود من كوتش عام ١٨٦٧ لأكثر من ١٢٠٠ (٩١). ولأهميتهم في المدينة نرى ريتشارد بيرتون، عندما وصف جزيرة زنجبار بأنها أغنى"مستودع تجارى في أفريقيا الشرقية، يذكر " بأن هناك"٣٨ شبكة من الروابط التجارية الدولية التي يديرها هنود، يمتد نفوذها التجارى من شرق أفريقيا إلى الجزيرة العربية والخليج الفارسي والهند حتى جنوب شرق آسيا وإندونيسيا وحتى الصين. وهذه الشبكة لم تتأثر بمنافسة الشركات الأوروبية إلا في منتصف القرن التاسع عشر"(٩٢). وهناك مجموعة من المهاجرين الهنود في مدينة زنجبار كانت تعمل في التجارة والتمويل وفي شراء القرنفل وبيعه في بلادهم. واشتغل بعضهم كصيارفة حكوميين، وكانوا موضع ترحيب من قبل ساكني المدينة من الأوربيين والأمريكيين (٩٣). وكان لهم مدارس وأندية خاصة بهم، وأشهرها نادى البنجابيين في زنجبار(٩٤)،

وكان هناك سببان لإقامة الهنود في مدينة زنجبار: الأول: إنه بانتقال السلطان سعيد لجزيرة زنجبار واتخاذه مدينة زنجبار عاصمة لدولته، عمل على تشجيع المجتمع التجاري الهندي في الحياة التجارية في شرق أفريقيا. الثاني: إنشاء القنصلية البريطانية في

---

(٩١)Chhaya R. Goswami:- Op.Cit., pp. 1283-11285.

(٩٢)Beatrice Nicolini:- Op.Cit., pp.36.

(٩٣)R. J. Gavin:- Op.Cit., pp. 122-124.

(٩٤)Khojas' Necklace Queer Experience of Viscountess Cave, The World's News Saturday 21 May 1927,P.44.

مدينة زنجبار عام ١٨٤١، مما أعطى الهنود الشعور بالأمان، كون الهند كانت تابعة لبريطانيا، فكان عددهم في زنجبار قد ارتفع من ٢٠٠٠ عام ١٨٥٦ إلى ٥٤٦٦ في عام ١٨٧٩. واحتل الهنود مناصب في الجمارك، وأشهرهم وات بهيما(١٨٣٠-١٨٣٥) وجيرام سوجي (١٨٣٥-١٨٧٥) و(١٨٨٠-١٨٨٦) وتاريا توبان ١٨٧٥-١٨٨٠، حيث بدءوا مع وكلائهم في الجمارك، ثم أصبحوا مستشارين للقناصل والسلاطين. ففي عام ١٨٥٧، عمل لودها دامجى LudhaDamji كقائم بأعمال الوكالة البريطانية [٩٥]. واتخذت المؤسسات التجارية الهندية مدينة زنجبار مقرًّا لها، تخزن فيها البضائع والسلع لتصديرها إلى الخارج أو إلى الداخل الأفريقي. وأصبحت المدينة مستودعًا لكل محاصيل شرق أفريقيا ووارداتها. وحينما بدأ ساحل شرق أفريقيا يجذب المؤسسات الهندية عن المدينة حاول السلطان برغش عبر مرسوم سنة ١٨٧٠ أن يمنع الهنود بمقتضاة من التجارة خارج المدينة. لكن لم تفقد المدينة أهميتها كمركز تجارى إلا في العقد الأخير من القرن ١٩ بعد قامت كثير من المؤسسات الهندية بنقل مراكزها الرئيسة إلى دار السلام وومبسة[٩٦].

القوة الرابعة، الشيرازيون. كان هناك شيرازيون كثيرون موجودون في الجزيرة، لكن كان أفراد أسرة المونى مكو الشيرازية هم حكام زنجبار قبل البوسعيد، وكانوا يقيمون في مدينة زنجبار نفسها، وأشهرهم السلطان حسن بن أحمد بن سلطان العلوى. حيث سمح لهم السلطان سعيد بمباشرة اختصاصاتهم. وقد تزوج بعض من سيدات هذه الأسرة من العرب العمانيين فأصبح لهم ذرية من المونى مكو. وكانوا يوقعون في خطاباتهم باسم السلطان أو الملك، وكان السلاطين العمانيون يخاطبونهم بذلك، أما الأشخاص العاديون فينادونهم باسم الجومبى أو المونى مكو. وكانوا يحظون باحترام وتوقير كبير في

---

[٩٥] Mandar Anant Thakur:- 'INDIAN AGITATION AGAINST CLOVE DECREES IN ZANZIBAR, Proceedings of the Indian History Congress, Vol. 68, Part Two (2007), pp. 1230.

[٩٦] إبراهيم عبدالمجيد محمد:- المرجع السابق، ص ١٣-١٥.

مدينة زنجبار وكافة نواحى الجزيرة. وكانوا وزراء السلطان سعيد في الشئون المحلية، وكانوا يتمتعون بصلاحيات تحت سلطته، وكانت أسماؤهم تذكر الى جوار السلاطين البوسعيد في صلاة الجمعة والعيدين. وظل هذا الأمر حتى وفاة آخر مونى مكو في عهد السلطان برغش. وكان أشهرهم السلطان حسن بن أحمد بن سلطان العلوى، وكان يقيم بالمدينة، وهو مؤسس أسرة المونى مكو، وكانت أمه الملكة فاطمة بنت السلطان يوسف أول من أبدت اهتمامًا بالمدينة ثم جاء هو فقام بتأسيسها[٩٧].

القوة الخامسة، الأفارقة. حينما تحدثنا من قبل عن منطقة نجامبو، ذكرنا أشياء كثيرة عن الأفريقيين الذين يعيشون في ضاحية المدينة. وفي الواقع كان ثلثا سكان مدينة زنجبار يتألفون من الأفريقيين ومن الطبقة العاملة سواء المستعبدون أو الأحرار [٩٨]. وكان العاملون في الميناء يعتادون على النوم في المبنى الكبير الذي شغلته المطبعة الحكومية فيما بعد[٩٩]. وكانت أكبر المجموعات العرقية الموجودة بالمدينة هم من الزارامو والياو والاونياموزي. وغالبية سكان نجامبوا كانوا على المذهب السني الشافعي منذ منتصف القرن ١٩[١٠٠]. وخلاصة القول، إن هذه القوى عاشت في انسجام وتعايش ولم تبد أي تبرم من أوضاعها إلا خلال فترة الاستعمار البريطاني فيما بعد، وفي أيامه الأخيرة فقط، أى في خمسينيات القرن العشرين. بما يدل على أن صيغة التعايش التي أوجدتها المدينة، وأشرف عليها حكام البوسعيد، قد خلقت مدينة ليبرالية منفتحة بها تنوع عرقي وثقافي وديني، لتكون عاصمة للبوسعيد وحاضرة للعمانيين في شرق أفريقيا ووسطها.

---

[٩٧] الشيخ عبدالله بن صالح الفارسى:– المصدر السابق، ص ص ٥٧–٥٩.

[٩٨]Chhaya R. Goswami :–Op.Cit., pp. 1281,11282.

[٩٩] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:– المصدر السابق، ص ٧٢.

[١٠٠]Garth Andrew Myers: Op.Cit., pp.257,258.

رابعًا– اقتصاد مدينة زنجبار وتأثيرها الحداثي في شرق أفريقيا ووسطها:-

باعتبار مدينة زنجبار عاصمة لدولة البوسعيد، لذا فإنها كانت تلخص القوة الاقتصادية لهذه الدولة، كونها المكان الذى تتلاقى فيه صادرات أفريقيا مع واردات أوروبا وآسيا. فقد كان ميناء زنجبار يستقبل الواردات من شتى الأماكن. وفي وقت مبكر من عام ١٨٢٧ كانت سفن مدينة سالم الأمريكية تأتى الى مدينة زنجبار، وبعد ثلاث تم تعيين أول قنصل أمريكي هناك(١٠١). لهذا تحدث أحد الزوار الأوروبيين في أواخر ثلاثينيات القرن ١٩ بأنه رأى التأثير الاقتصادي الصينى والآسيوي في المدينة من خلال التجارة في المرايا والزجاج، وبعد أن سجل الطعام المرسل له من القصر السلطانى، وانه عبارة عن لحم غنم كامل مسلوق أو مطهو وخثارة وحلويات وأنواع مختلفة من الأرز والخبز وشربات وموز وخضار، أشار إلى وجود ٣٠٠.٠٠٠ شجرة قرنفل(١٠٢).

وتجدر الإشارة بأن اوروبا وأمريكا والهند كانت تطلب من مدينة زنجبار في أواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر القرنفل والصمغ والجلود والعاج، وتعطيها بالمقابل السلع القطنية والحديد والسكاكين(١٠٣). وفي عام ١٨٣٩ عقدت داخل المدينة معاهدة بين بريطانيا وزنجبار على نمط معاهدة عام ١٨٣٣ بين زنجبار والولايات المتحدة. وفي عام ١٨٤٤ عقدت معاهدة أخرى بين فرنسا وسلطان مسقط وزنجبار، وحصلوا من خلالها على امتيازات سياسية واقتصادية (١٠٤). لكن الهنود هم الذين هيمنوا على اقتصاد زنجبار من خلال دورهم كممولين للمزارعين العرب وتجار القوافل الذين

(١٠١)Erik O. Gilbertthe:-Zanzibar Dhow Trade: An Informal Economy on the East African Coast, 1860-1964, Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy,University of Vermont, 1997,,pp. 47,50.

(١٠٢)John Studdy Leigh and James S. Kirkman:- Op.Cit., pp299.

(١٠٣)Ibid, pp282.

(١٠٤)S. S. Abrahams:- Op.Cit.,pp. 294.

هيمنوا على اقتصاد زنجبار من خلال دورهم كممولين للمزارعين العرب وتجار القوافل الذين يتاجرون مع المناطق الداخلية لشرق أفريقيا. فصدروا العاج والعبيد والقرنفل وبذور السمسم. وزودت زنجبار السوق العالمية بـ ٨٠٪ من القرنفل [١٠٥].

وكانت مدينة زنجبار في منتصف القرن التاسع عشر مزدهرة للغاية، يمكنك التنزه فيها حيث الواجهة البحرية والميناء الذي يعج بالمراكب الشراعية المحلية والسفن التجارية والحربية الاوروبية وقوارب الصيد. ويوجد بالميناء مكتب الجمارك، وإلى الشمال منه يقع قصر السلطان ومصنع الثلج. وإلى الجنوب كانت توجد منازل المقيمين والتجار والقناصل الأوروبيين. وعلى الشاطئ مباشرة يقع بيت أوسوالد ووكالة جون بيرترام والقنصلية البريطانية. وفي طريق العودة من الشاطئ كانت توجد القنصلية الفرنسية ومقر الجند البلوش الى غير ذلك. وبحلول عام ١٨٥٩ بلغت قيمة التجارة المنجزة في زنجبار ١،٦٦٤،٥٧٧ جنيه إسترليني. وكان هذا التوسع التجارى بسبب التوسع في الاقتصادات الصناعية عبر المحيط الأطلسي ومطالب الإنتاج المتزايدة في شرق أفريقيا. فكانت مدينة زنجبار مكانا للتجارة المختلطة، الأوروبية مع الأفريقية، والعربية مع الآسيوية[١٠٦]. وكانت وسيلة النقل داخل المدينة هي الخيول والحمير والبغال. وأدخلت عملة البيسة في مدينة زنجبار سنة ١٨٥٩. وكان التعامل التجارى من قبل يتم من خلال عملة ماريا تريزا والريال الإسبانى، ودخلت عملة برغش سنة ١٨٨٣ ثم عملة زنجبار ١٨٨٧ التي لم تظهر إلا في عهد السلطان خليفة بن سعيد. وظلت إلى أن دخل الشلن والسنت فيما بعد، سنة ١٩٣٦ [١٠٧]. وكان تأثير المدينة الاقتصادي ضخمًا في شرق أفريقيا

---

[١٠٥] Mandar Anant Thakur:- "Indian Agitation Against Clove Decrees in Zanzinar, Proceedings of the Indian History Congress, Vol. 68, Part Two (2007), pp. 1230.

[١٠٦] Erik O. Gilbertthe:- Op.Cit., pp. 35,38.

[١٠٧] الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان المصدر السابق، ص ص، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٧.

ودواخلها، لأنها كانت البوابة التي تنطلق منها تجارة الدواخل الأفريقية نحو أوروبا وآسيا زنجبار. حيث ارتبط مبنى الجمارك في المدينة بالمنافذ الموجودة قبالة جزيرة زنجبار، من حيث الضريبة والاحتكار التجاري. فقد أصبحت المدينة منفذًا لتجارة المحيط الهندي والتجارة الدولية طيلة القرن ١٩ [١٠٨].

هذا ولم يكن هناك رصيف لميناء زنجبار حتى ١٨٩٠، حيث كان يتم رسو السفن على طول الواجهة البحرية للمدينة، وعبر الخور الذى يقع شمالها[١٠٩]. وكان كارل بيترز الألماني وغيره من المتنافسين الأوروبيين على استعمار شرق أفريقيا، يدركون جيدًا الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لمدينة زنجبار في أنحاء المنطقة. وأن التنافس بين العملاء البريطانيين والألمان في زنجبار كان يتكرر مع زيادة حدة العنف في المراسلات الألمانية في عام ١٨٨٦[١١٠]. لكن لم تقل أهمية ميناء زنجبار من الناحية الاقتصادية إلا بعد التغييرات التي أجرتها الإدارة الألمانية في مستعمرتها في تنجانيقا في مرفق دار السلام، فقاد هذا إلى روابط تجارية جديدة مختلفة عما كانت عليه من قبل[١١١].

وفيما يتعلق بتأثير المدينة الحداثى في شرق أفريقيا ووسطها. فكانت سلطة زنجبار تمتد على طول الساحل الشرقى لأفريقيا وفي الداخل والوسط الأفريقي. لدرجة أنه في عام ١٨٧٥ حدث اشتباك مصرى مع زنجبار للسيطرة على الصومال الجنوبى. حيث أرسل الخديوي إسماعيل

---

[١٠٨] Erik O. Gilbertthe :- Op.Cit.,,,pp. 51,52.

[١٠٩] Ibid,,pp. 47,50.

[١١٠] Emile de Grootreat Britain and Germany in Zanzibar: Consul Holmwood's Papers, 1886-1887), The Journal of Modern History, Vol. 25, No. 2 (Jun., 1953), pp. 120- 122.

[١١١] A. J. Christopher:-Continuity and Change of African Capitals. Geographical Review, Vol. 75, No. 1 (Jan., 1985), p.51.

ماكيلوب باشا في حملة صغيرة، سميت بحملة جوبا(١١٢). ولهذا فإن نفوذ العاصمة البوسعيدية كان كبيرًا وممتدًا. وما تكرر في المصادر الأوربية من مقولات، وعلى رأسها مقولة "إن عزف المزمار في زنجبار رقص عليه الناس في البحيرات "، ومقولة لفنجستون " زنجبار هي مكتبة الداخل الأفريقي"(١١٣)، يلخص هذه المكانة للعاصمة ويحفظها.

من هنا، فإن المسئولين الأوروبيين كانوا يعلمون تلك المقولات وبتأثير مدينة زنجبار وسلاطينها في الداخل الأفريقي(١١٤). فكان تأثير مدينة زنجبار الثقافي كبيرًا في ساحل شرق أفريقيا ووسطها، حيث جرى تقليد الأفارقة للعرب في الملابس والعادات، بحكم تمدد القبائل العربية عبر مناطق الوسط الأفريقي(١١٥). وانتشر تقليدهم في طريقة حياة العرب داخل المنازل(١١٦)، وفي الطرز المعمارية العربية (١١٧)، وفي استخدام الأسماء العربية (١١٨). وبزيادة أعداد المهاجرين العرب القادمين من مدينة زنجبار

---

(١١٢) E. R. Turton:-Kirk and the Egyptian Invasion of East Africa in 1875: A Reassessment,The Journal of African History, Vol. 11, No. 3 (1970), pp. 355,370.

(١١٣) أحمد عبدالدايم محمد حسين :- الوجود العربي في منطقة البحيرات الأفريقية الكبرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد ٢١، السنة ١١، ٢٠٠٧، ص ٥٤٩.

(١١٤) Emile de Grootreat Britain and Germany in Zanzibar: Consul Holmwood's Papers, 1886-1887), The Journal of Modern History, Vol. 25, No. 2 (Jun., 1953), pp. 120- 122.

(١١٥) Stanley H.M :-Letters of Mr.Stanly on His Journey to Victoria Nyanza and Circumnavigation of the Lake , Proceedings of the Royal Geographical Society of London , Vol.20, No.2(1875-1876) P.149.

(١١٦) رونالد اوليفر، أنتونى اتمور:- أفريقيا منذ عام ١٨٠٠، ترجمة فريد جورج بورى، المشروع القومى للترجمة، العدد ٩٤٨، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٠٧ .

(١١٧) Smith Alison :- King Leopold and Congo Arabs , The Journal of African history , Vol. 1. No.1960,P.167 .

(١١٨) Langworthy Hary :- Swahili Influence in The Area between Lake Malawi and The Luangwa River , African Historical Studies , Vol.4,No.3,1971,P.589.

منذ خمسينيات القرن ١٩ في المناطق الداخلية، نمت مراكز ومدن جديدة، كطابورة وأوجيجى ونيانجوى وكاسونجو وكاراجوى ونيخوتاكوتا، وحاولت أن تقلد العاصمة في بعض الأشياء. حيث ارتبطت نشأة المناطق الحضرية في وسط أفريقيا في القرن ١٩ ارتباطًا مباشراً بهجرة القبائل العربية إليها. وخير مثال على ذلك ما أشار إليه الرحالة الأوروبيون لدور تلك الهجرات في تطوير الزراعة وتبنى تقنيات حديثة فيها. ناهيك عن الثورة المعمارية التي نقلوها من عمان والساحل إلى الداخل(١١٩). وفي هذا الإطار ادخلوا الإدارات الحديثة، فقسموا أعالى الكونغوا إلى سبع مناطق إدارية، وأدخلوا نظام الحكم غير المباشر، فسمحوا باستقلال بعض الزعامات المحلية بالحكم تحت إشرافهم (١٢٠)وأحدثوا نظمًا اقتصادية جديدة لم تعرفها المنطقة، تتمثل في الضريبة والجمارك (١٢١)، وفي إيجاد قوات عسكرية مدربة (١٢٢). فضلا عن دور قبيلة الحارث والوردبيين في كشوف بحيرة تتجانيقا ونهر الكونغو (١٢٣)، وبقية المناطق (١٢٤)، ودور قبيلة الغيفي في كشف بحيرة بنجويلو ونهر اللوالابا (١٢٥)، ودور قبيلة الحارث في كشوف الرحالة ستانلى وغيره (١٢٦). (انظر الخريطة التالية).

(١١٩)Thomas Franklin McDow Arabs and Africans: Commerce and Kinship from Oman to the East African Interior, c. 1820-1900, Faculty of the Graduate School, Yale University, Doctor of Philosophy, May 2008, PP.201, 203,204.

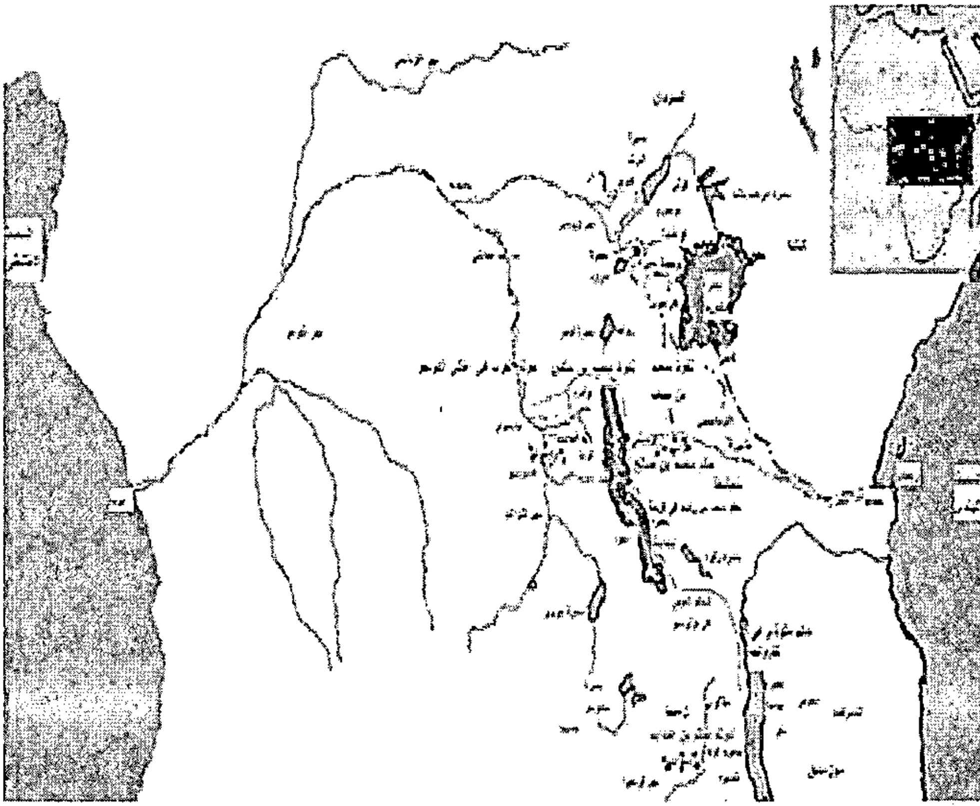
(١٢٠) عدنان حداد :- انتشار الإسلام في أفريقيا الوسطى لاسيما في جمهورية الكونغو الديمقراطية، المؤتمر الدولى :- الإسلام في أفريقيا، الكتاب الحادى عشر، السودان، ٢٠٠٦، ص ص ٥٥٩، ٥٦٣ .

(١٢١) جمال زكريا قاسم :- الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥، ص ٢٤٢.

(١٢٢)Werner J.R. :- The Congo and The Ngala and Aruwimi Tributaries, Proceeding of the Royal Geographical Society and Monthly Record of Geography , New Monthly Series, Vol. 11 No.6(Jan.1889), PP.349,350.

(١٢٣) Burton R.E.,J.H.Speke:- Exploration in Eastern Africa, Proceeding of the Royal Geographical Society of London, Vol.3, No. 6 (1858-1859) PP .351, 352.

(١٢٤) Russel A.J. :- The Livingstone's Nile , What is it? and Relief Expedition , Journal of The American Geographical Society of New York , Vol. 6, 1874, PP.298,301.



خريطة بتصرف الباحث نقلاعن : What Stanly Has Done for the Map of Africa ,Science, Vol. 15,No. 364 (Jan.1890) P.53

ولعب المنتقلون من مدينة زنجبار دورًا كبيرًا في نشر الإسلام في الداخل، ففي منطقة بحيرة فيكتوريا أصبح الإسلام هو الدين الغالب بانتقال الداعية التاجر أحمد بن إبراهيم إلى بوجندا سنة ١٨٤٤. ناهيك عن انتقال المذاهب السنية(الشافعى والمالكى والحنفي)، وتأثير المذاهب غير السنية (الأباضية وطائفة الإسماعيلية والأحمدية). وكذا انتشار اللغة

---

(١٢٥) Sir Pircy Sykes:-A History of Exploration 'From Earliest Times to the Present Day ' , Second Edition George Rutledge &Sons , London , 1935 P.226.

(١٢٦) Stanly M.Henery :- Through The Dark Continent ,PP.96-100.

العربية ؛ حيث انتشرت في كل المناطق التي تاجر فيها العرب، في مناطق البوجندة والسكوما والسمبوا Sumbwa جنوب بحيرة فيكتوريا، ناهيك عن انتشارها بين الاونياموزى وسكان طابورة واجيجى وأعالى الكونغو. وكان للتقاليد والثقافة العربية انتشار كبير بين قبائل السكوما والاونياموزى وكافة المناطق المحيطة ببحيرة تنجانيقا. حيث ظهر الزى الوطنى متأثرًا بالزى العربى في المنطقة الممتدة بين بحيرة فيكتوريا وبحيرة تنجانيقا سنة ١٨٩٤ في لبس القطنيات العربية والتركية [١٢٧].

ولاشك أن الثورة الاقتصادية التي أحدثها العرب في منطقة البحيرات الأفريقية الكبرى قد أحدثت تغييرًا وحراكًا اجتماعيًا يصلح أن يُقدَّم كنموذج لما أضافه العرب لسجل التاريخ الاجتماعي في تلك المنطقة، بل يصعب مقارنته بالأثر الاجتماعي للأوربيين فيما بعد. فقد كان للعرب دور كبير في ادخال التعليم الحديث، وفي تغير شكل الملكية والثروة وبالتالى إعادة صياغة البناء الاجتماعي والطبقي في تلك المناطق. وطبيعي أن يحدث هذا التأثير خلال الفترة ١٨٥٧ – ١٨٧٦، حيث كانت عاصمة البوسعيد متحكمة تقريبًا في كل أشكال الأبنية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في شرق أفريقيا ووسطها. بل كان العرب أول من اكتشفوا إمكانيات المنطقة فربطوها بالتجارة الدولية، وفتحوا الأسواق وشاركوا الأفريقيين في الأرباح، وانعكست سياستهم الاقتصادية في التنافس الذى أوجدوه بين سياسات المناطق بعضها بالبعض الآخر، وبالتالي هم أول من أحدثوا ثورة اقتصادية بالمفهوم الحقيقي عبر منطقة البحيرات [١٢٨].

---

[١٢٧] أحمد عبدالدايم محمد حسين:– الوجود العربى في منطقة البحيرات المرجع السابق، ص ص،٥١٨، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٦.

[١٢٨] نفسه، ص ص،٥٢٧، ٥٣٧، ٥٥٥ .

خامسًا- علماء المدينة وقضاتها ونخبتها الثقافية:-

شهدت مدينة زنجبار انطلاقة حضارية في المحيط الذى تحكمه والمناطق التي تؤثر فيها. وكان تشجيع سلاطين زنجبار لعلمائها، وقيامهم بإنشاء المطبعة السلطانية، ووجود نخبة من العلماء والمفكرين، قد ساعد المدينة على أن تتبوأ مكانتها كعاصمة مؤثرة في العوالم المتأثرة بها. وقد شهد لها جل الرحالة الأوروبيين بقوة التأثير والحضور الثقافي في الداخل الأفريقي. فكان اهتمام سلاطين زنجبار بالجوانب الثقافية، سواء من خلال طباعة الكتب بالمطبعة السلطانية، أو نسخها، أو من خلال الدعم المادي وتشجيع العلماء والمفكرين ودعم مشاريعهم الفكرية في العالم الإسلامي، هو المحرك المهم في هذا الفعل الثقافي. ويتضح من خلال المراسلات الكثيرة التي تمت بين سلاطين زنجبار وبعض العلماء والمفكرين ورؤساء تحرير الصحف في العالمين العربي والإسلامي، وبين مراكز الثقافة العربية في بيروت ومصر وبلاد المغرب ومع الهيئات والمنظمات الإسلامية، خاصة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، الحضور الثقافي الطاغى للمدينة، وأنها كانت واجهة جيدة للعمانيين في كافة أنحاء المنطقة. بل كان إنشاء المطبعة السلطانية في مدينة زنجبار من الأمور التي ساعدت على تطور الحركة العلمية والثقافية ونهوضها ليس في زنجبار وحدها، وإنما في شرق أفريقيا ووسطها ككل[١٢٩].

وأحسب أن مدينة زنجبار في القرن ١٩ كانت نموذجًا يحتذى في التعايش والانسجام بين الأجناس. فكان قطاع كبير من العرب ينتمون للمذهب الإباضي، أما السواحيليين،

[١٢٩] B. G. Martin:- Notes on Some Members of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa in the Nineteenth Century. African Historical Studies, Vol. 4, No. 3 (1971), pp. 526.

فكانوا ينتمون جميعًا إلى المذهب الشافعي السني. فعلى سبيل المثال كان محمد بن علي المنذري قاضيًا في مدينة زنجبار للإباضية، بينما الشيخ محي الدين القحطاني كان قاضيًا للشافعية. وهذا الأخير هو الذى التقى الرحالة ريتشارد بيرتون. وتحدث عنه بأنه كان عالمًا كبيرًا في الشريعة، وأيضًا مؤرخًا وشاعرًا باللغة السواحيلية [١٣٠]. وكانت المدينة يسودها تسامح ديني مع الهندوس والبهرة وغيرهم من المسلمين على غير مذهب الدولة الإباضى. بل نشأت علاقات بين التجار الإسماعيليين والتجار الأمريكيين[١٣١]. هذا بالإضافة إلى أن المدينة تكونت بها طبقة أرستقراطية من مهاجرى عُمان وأحفادهم، وكانت في انسجام تام مع الارستقراطية الهندية والنخبة الأوروبية [١٣٢]. ونقلت لنا الأميرة سالمة على لسان أحد الرحالة سبب هذا الانسجام، بأن المدينة كان يعم فيها الهناء والحبور جميع طبقات الشعب. وأن المرء يستطيع أن يعيش يومه بأربعة شلنات [١٣٣].

ولعل التمثيل السكانى الموجود في المدينة من القبائل الأفريقية الداخلية من الاونياموبزي والشاجا والياو والداجو والدو والماكوندى والماكوا والهيهي والنجونى والجوجو وغيرهم، لم يدلل على النفوذ الثقافي والحضاري في تلك المناطق فحسب، وإنما جعل المدينة بمثابة البوتقة التي انصهرت فيها العناصر الأفريقية السابقة مع العرب والأوروبيين والهنود من كافة الأطياف؛ الهندوس والإسماعيليين والجوجاراتين والسيخ، فضلا عن الاحتكاك الثقافي بين المنتسبين للمذهب الحنفي والشافعى بالإباضيين. فكانت المدينة

[١٣٠]Jan Knappart:- " Op.Cit.,, pp. 25

[١٣١]Hatim Amiji:- The Bohras of East Africaournal of Religion in Africa, Vol. 7, Fasc. 1 (1975), pp. 35,36.

[١٣٢]Laura Fair:- Identity, Difference, and Dance: Female Initiation in Zanzibar, 1890 to 1930, A Journal of Women Studies, Vol. 17, No. 3 (1996), pp. 147..

[١٣٣] الاميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- المصدر السابق، ص ٢٥٣.

تمثل بوتقة كبيرة ومهمة للتعايش والانسجام في القرن ١٩. وقد انعكس هذا في العلاقات الجيدة بين الإباضيِّين والشافعيّين. فعلى سبيل المثال كان كثير من قضاة مدينة زنجبار من الشافعية، أمثال القاضى أبى بكر أبى أحمد في عهد السلطان ماجد، والقاضى عبد الله القحطاني الوائلي (١٧٩٠-١٨٦٩). وهو الذي أصبح أول قاضي للشافعية في المدينة عام ١٨٣٧ في عهد السلطان سعيد وابنه ماجد، وبعد ان كان ولائه السابق للمزارعة في مومبسة اصبح ولاؤه لسلاطين زنجبار [١٣٤]. وكان أفراد عائلة منديرى Mundhiri خدمًا مخلصين لسلالة البوسعيد، وكان معظمهم قضاة زنجبار في فترة برغش وما تلاه [١٣٥]. وقد زارها الرحالة بيرتون في منتصف القرن التاسع عشر، وتحدث عن طابعها العربى [١٣٦]. وأحد ملامح هذا الطابع لا يظهر في شكل الأبنية القائمة ولا اللغة العربية ولا الملبس، بل في شهر رمضان. فكان يتم رؤية هلال رمضان من سطح القلعة ثم تدوى المدافع بالبشرى، فيندفع الناس في طرقات المدينة وشوارعها في فرح عام بحلول شهر الصيام[١٣٧].

وكتب الشيخ محى الدين القحطاني قصائد ليس فقط باللغة العربية، ولكن بالسواحلية. تم جمعها من قبل ليندون هاريز. وهو الشيخ الذى أرسله السلطان سعيد في مهمة دبلوماسية إلى سيو Siyu ، كوسيط في عام ١٨٤٥-١٨٤٦. وهناك الشيخ عبد الله نافع المزروعي (١٨٢٥-١٨٩٤) وكان شافعيًا وعينه السلطان ماجد قاضيًا واشتغل بالتدريس، وبقي في زنجبار حتى عام ١٨٨٧، قبل عام من وفاة سيد برغش[١٣٨].وكان

---

(١٣٤) B. G. Martin:- " Op.Cit. pp. 526,529-531.

(١٣٥) R.S. O'FAHEY and KNUT S. VIKØR :- A ZANZIBARI WAQF OF BOOKS: THE LIBRARY OF THE MUNDHIRĪ FAMILY, Sudanic Africa, Vol. 7 (1996), pp. 6 .

(١٣٦) Brian Hoyle:- Urban Waterfront Revitalization in Developing Countries: The Example of Zanzibar's StoneTown, The Geographical Journal, Vol. 168, No. 2 (Jun., 2002), pp. 146149.

(١٣٧) الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان المصدر السابق، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(١٣٨) B. G. Martin:- Op.Cit., pp. 526-531,536,543.

بالمدينة قضاة سنيون أكثر من الإباضيين، عكس جزيرة بيمبا، فالقضاة الاباضية اكثر فيها من السنة. وقضاة زنجبار من الاباضية هم الشيخ عبدالله بن مبارك النزوى في عهد السلطان سعيد، والشيخ محمد بن على المنذرى في عهدى سعيد وماجد. بل أصبح أخوه الأصغر عبدالله بن على رئيسًا للقضاة في عهدى ماجد وبرغش وحتى عهد خليفة بن حارب. وشغل ابنه على بن محمد منصب قاضى زنجبار، وهو الذي ألف كتابًا في التوحيد وعاش في مالندى مزنجان قرب محطة الطاقة الكهربائية. وأيضًا القاضى هلال بن سعيد. أما القضاة السنة فيأتي على رأسهم الشيخ محيى الدين القحطاني الذي ساعد السلطان ماجد في بناء مسجد الجمعة في مالندى، وعندما اسيئت معاملته فيه، بنى مسجد الجمعة الكبير في مالندى. وهو الذي كتب تاريخ كلوة وشرح خطبة منهاج السالكين، وعاش في مالينداى كيبوندا. وتبعه أحمد بن سالم العلوى قاضيًا على العلويين الشاطريين، لكنه عين قاضيًا لكل البلاد وعاش في أوكوتانى. ثم تبعه الشيخ عبدالعزيز عبدالغنى الأموي، فعين قاضيًا لكلوة ثم انتقل لزنجبار، ونجح في تحويل السلطان خليفة للمذهب السنى. وهو الذي ألف عدة كتب في الفقة والشعر والأدب والطب والرحلات والتاريخ. وكتب تاريخ زنجبار سنة ١٨٩٣، غير أن الكتاب اختفي فيما بعد. وقد عاش في مسجد المناورة في مالينداى، وخلفه في منصب القاضى ابنه برهاان عبالعزيز(١٣٩). وكان القضاة يعقدون محاكماتهم في منازلهم، وبعد ظهر كل يوم يذهبون إلى بيت الساحل مقر السلطان، للاستماع للقضايا التي يرفض أصحابها الذهاب لبيوت القضاة. وتحدث البعض عن تأليف الكتب الدينية إلى جانب القرآن الكريم، وقيام المشايخ بتعليم الناس. وأن السلطان لم يكن لديه وزراء، لكن الشيوخ كانوا يقومون بنصحه. وكان القانون يديره قاضيان، يشير له أحدهما بقتل القاتل إذا كان من العبيد، ويدفع الدية إذا كان المتهم

(١٣٩) نفسه، ص ص ٧٢-٨٠.

عربيًا. وجرائم السرقة والجرائم الأخرى يعاقب فاعلها بالسجن لفترات مختلفة. أما الحرق فتكون هناك عقوبة لمتلف البضائع [١٤٠].

وفي مسائل التأليف والطرق الصوفية، كان هناك الشيخ عبد العزيز العزول ١٨٣٢-١٨٩٦، والشيخ "جميع المزروعي، وكان كاتبًا غزير الإنتاج، وأيضًا مؤرخًا. وسمى أحد مؤلفاته بتاريخ زنجبار من وقت وصول السلطان سعيد حتى السلطان حمد بن ثويني، الذى حكم في الفترة من ١٨٩٣-١٨٩٦. وهناك الشيخ محمد البراوي (١٨٤٧-١٩٠٩)، المعروف في شرق أفريقيا باسم "الشيخ عويسو"، والذى وصل إلى زنجبار من برافا في أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر، وأيده الشيخ عبد العزيز، فأسسا معًا الطريقة القادرية في مدينة زنجبار. ووصلها أيضا الشيخ أحمد السميط في أواخر عام ١٨٨٨، فتم تعيينه في منصبه القديم كقاضي، والذي ظل يحتفظ به حتى وفاته في عام ١٩٢٥. وكانت له اتصالات بمثقفين من القاهرة، مثل محمد الكيالي الحلبي ومحمد العنابي . وهناك القاضى الشافعى عبد الله باكثير الذي استمر في منصبه حتى وفاته في مايو ١٩٢٥، بل دفن في مدينة زنجبار بجوار المسجد الجامع في ماليندي[١٤١]. وتحدث البعض عن دور الحضارمة في المدينة، وأنه أشتهر بها الشيخ محمد عبد الله (١٨٥٣-١٩٠٥) ، حيث اسس الطريقة الشاذلية بمساعدة عائلة الشيخ أبى بكر بن سليم. وفي هذا الإطار قامت المطبعة السلطانية بطباعة العديد من الكتب أشهرها، حاشية الترتيب للوجلانى، وكتاب شمس الظهيرة، وتفسير القرآن المسمى برهان الزاد إلى دار المعاد، واللواقح الذهنية في رحلة مولانا السلطان للأقطار الأفريقية الشرقية [١٤٢].

---

(١٤٠)John Studdy Leigh and James S. Kirkman:- Op.Cit., pp.310.

(١٤١)Ibid, pp. 526,537-539,543.

(١٤٢)Anne K. Bang:- Teachers, Scholars and Educationists: The Impact of Hadrami-'Alawī Teachers and Teachingson Islamic Education in Zanzibar ca. 1870—

وبعيدًا عن أثرياء المدينة ونخبتها السياسية، كانت هناك نخبة عسكرية جاء بها السلطان سعيد معه من عمان من البلوش، ثن إضاف عليها ابنه ماجد في عام ١٨٧٠ ببعض الشيرازيين ليعملوا في الجيش زنجباري، وعملوا أيضًا في عهد برغش وأصبح لهم مقبرة خاصة بهم في المدينة. وأيضًا كان هنود إسماعيليين على رأسهم كلب علي خان، الطبيب الهندي. وفي عام ١٨٧٧ جاء حاجي ديوجي جمال والشيخ زين العابدين مازنداراني من كربلاء في العراق. وجاء حوالى ٢٥٠ من الاثنا عشرية وعاشوا في المدينة. وفي عام ١٨٩٩ زار الآغا خان الثالث مدينة زنجبار، فأصدر له السلطان فرمانًا بقيادة جماعته من الإسماعيليين(١٤٣). وكان بالمينة مغنين ومغنيات وراقصات من العبيد، وكن محترفات يتم اصطحابهن في السفريات لإدخال الترفيه والترويح على أفراد الأسرة الحاكمة. وكان في المدينة طبقة من الكتاب الممتهنين الذين يتخذون أماكنهم في السوق يكتبون الرسائل مقابل أجر مالى (١٤٤). وعلى هذا كانت مدينة ززنجبار في القرن ١٩ واجهة ثقافية مميزة للعرب في شرق أفريقيا ووسطها، فضلا عن كونها عاصمة سياسية لدولة البوسعيد الحاكمة للشرق الأفريقى. وكانت مفتاحًا مهمًا من مفاتيح تلك المناطق.

1930, Asian Journal of Social Science, Vol. 35, No. 4/5, SPECIAL FOCUS: Arabs in Asia(2007), pp. 457,459.

(١٤٣)Seyyid Saeed Akhtar Rizvi and Noel Q. King:- Some East African Ithna-Asheri Jamaats (1840-1967), Journal of Religion in Africa, Vol. 5, Fasc. 1 (1973), pp.14-16.

(١٤٤) الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان:- المصدر السابق، ص ١٤١، ١٤٢، ١٤٧.

الخاتمـــة

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج نوجزها في الآتي:

- أبرزت الدراسة بأن هناك خصوصية ثقافية لمدينة زنجبار، سواء في أساسيات التنظيم وطبيعة الشوارع وشكل المنازل والبيوت، وأنها تأسست لتكون مشرقية الطابع والهوية، رغم كونها مدينة ليبرالية منفتحة على كل الثقافات. وتمثلت خصوصيتها في كونها استطاعت أن تصهر كل الثقافات في ثقافة واحدة. فكانت المدينة مرآة لعصرها، وبوابة رئيسة من بوابات التحديث لمنطقة شرق أفريقيا ووسطها.
- أن كل شروط المدينة قد انطبقت عليها، من نمو سكاني وتنوع عرقي وثقافي وديني، وكان يسودها تعايش وتآلف وانسجام وتقاليد وعادات مميزة. وأن عمارتها كانت وليدة الوعي والواقع، حيث كانت مدينة حكم وسلطة سياسية، وكانت في ذات الوقت مدينة تجارية ودينية، وتجمع بين مكونات ثقافية مختلفة وابنية متعددة الثقافات والزخارف، فكانت بحق مدينة كوزموبوليتانية متعددة الثقافات منفتحة على العالم ككل. وأن التطورات الكبيرة التي حدثت في القرن ١٩ من توسعة المدينة وتخطيطها، وأن التحديث الذي تم على يد البوسعيد في المدينة، من إدخال للكهرباء والتليفونات وخطوط مياه الشرب النظيفة والحمامات العامة والحدائق والمطبعة والقصور السلطانية والبنايات وما إلى ذلك، قد كان له صداه في شرق أفريقيا ووسطها. وكان الحجم الكبير من بنايات المدينة يدل على العظمة، أما الحجم الصغير فكان يدل على الحميمية. وجميعها تمثل تعويضًا للعرب عن وطنهم الأم المتمثل في مسقط وعمان، وهي خصوصية للمدينة عن بقية المدن التي نشأت في المنطقة فيما بعد.
- أن الفاعليين الاجتماعيين في القرن ١٩ قد عكسوا طبيعتهم المنفتحة على المدينة، وقدموا تجربتهم الاجتماعية المتقدمة التي تعرضت للانتكاسة في نهاية العصر الاستعماري سنة ١٩٦٤. حيث عمل الاستعمار البريطاني على ضرب عملية التعايش التي كانت سمة المدينة

طيلة القرن ١٩، فخلقت الإدارة البريطانية الفتن وحرضت الأفريقيين ضد العرب واججت الصراعات العرقية، وقلبت رأس المدينة على عقب. الأمر الذي عرض منشآتها للخطر، وجعل تجربتها في القرن ١٩ أثراً بعد عين.

- أثبتت الدراسة بأن المدينة ظلت هي الفاعل الرئيس في كل ما يحدث في الداخل الأفريقي، إلى أن فرضت بريطانيا حمايتها عليها سنة ١٨٩٠. وأنها كانت مبهرة في مبانيها وفنونها، ناهيك عن جمعها لثقافات متعددة، عربية وهندية وأوروبية وسواحيلية، في بوتقة واحدة. بل إن كل مبنى من مبانيها ظل يحمل أفكارًا معينة كانت تدور في رأس صاحبه. فكانت مكانًا متاحًا لاستثمار فوائض الإنتاج الزراعي في المجال الصناعي، وحين بدأ يظهر هذا التحول في عهد السلطان برغش، ضُرب المشروع برمته بوضع زنجبار نفسها تحت الحماية فيما بعد. وكانت المدينة أيضًا مقرًّا للطبقة الارستقراطية والنخبة العربية التي رعت عملية التطور الثقافي والاجتماعي والسياسي التي جرت طيلة القرن ١٩. وبالتالى فإن التكلفة الاجتماعية التي دشنتها وجعلتها حاضرة للعرب، لم يتحملها السلاطين البوسعيد وأبناء الاسرة الحاكمة فقط، بل تحملتها النخب العربية التي عاشت في تلك الفترة أيضًا. فقد أوجدتها بشكل مبهر لتعبر عن سياقات اقتصادية مزدهرة، وعلاقات اجتماعية متماسكة. مدللة على رهان أصحابها على الاستمرار في حكم منطقة شرق أفريقيا عشرات السنين، وتعبيرًا عن شرعية وجودهم ونفوذهم فيها. حيث استطاعت شبكة الثراء والقوة أن تجعلها قاعدة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية لانطلاقها عبر المنطقة برمتها. وبالتالي، فإن نقد المدينة في العصر الاستعماري يصب في جانب منه في وجوب نقد التجربة الاجتماعية في ذلك العصر، ومعرفة طبيعة الفاعلين الاجتماعيين داخل المدينة في فترة البوسعيد للمقارنة والفهم والعظة.